مِن وَهَجِ العِشقِ الحُسيني





مِنْ وَهَجِ
العشقِ الحُسيني

مِنْ وَهَجِ

العشقِ الحُسيني

التَطبِيـــرُ

حُزناً وجَزَعاً على سيد الشُهداء عليه السلام

من منظورٍ شرعيّ

عبد الحليم الغـــزّي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتَّبِعوُنَ أحســـــنَهُ، اُولئكَ الذينَ هَداهُمُ اللّهُ واُولئك هُمْ اُولوا الألباب ﴾

18 / الزُمَر

اللهــمّ صلِّ علـــى محمّدٍ وآلِ محمّد
وعــجّــلْ فـــــرجَ محمّدٍ وآلِ محمّدٍ
والعــــن عــــدوَّ محمّدٍ وآلِ محمّد

لا تَلُمْ يا ســـائلاً عن شَــقِّ رأسِ العاشقيــنْ
أصدرتْ فتواهُ زينب مُذْ رأَتْ رأسَ الحُسيــنْ

إلى سيدي المحزون، وإماميَ المثكول: صاحبِ المُصابِ زينِ العابدينَ وسيِّدِ الساجدينَ صلوات الله عليه الذي قيل له في بكائه وحزنه الدائم على أبيه سيد الشهداء صلوات اللّه عليهما والذي لم ينقطع أبداً: (انك لتبكي دهرك فلو قتلتَ نفسَك لما زدت على هذا ؟ فقال: نفسي قتلتها وعليها أبكي)[1].

وإلى سيدتي عقيلةِ الهاشميينَ، ولبوةِ الطالبيينَ: شريكتهِ في المُصابِ، العالمةِ غيرِ المُعلَّمةِ، والفَهِمَةِ غيرِ المُفهَّمة[2] والتي حين رأتْ رأسَ المولى Mنطحت جبينَها بمُقدَّم المحمل حتى رأينا الدم يخرجُ من تحت قناعها وأومأت إليه بحرقةٍ وجعلت تقول:

يا هلالاً لما إستتمَّ كمالاً　　　　غالَهُ خسفُه فأبدى غروبا L[3].

أرفعُ إلى أعتابِكُمُ العالياتِ: آياتِ عزائي .

الراجي عفوَكُمْ ونوالَكُمْ

---

[1] بحار الأنوار ج 46 ص 109 ب6 .

[2] قال إمامنا السجاد عليه السلام مخاطباً عمّته العقيلة عليها السلام: (وأنتِ بحمد اللّه عالمة غيرمعلّمة، فهمة غير مفهّمة) / بحار الانوار ج 45 ص 164 ح 7، نقلاً عن كتاب الاحتجاج .

[3] بحار الانوار ج 45 ص 115 ب 39 .

يا فاطمة قـــومي إلى الطُفوفِ

هذا حُســـينٌ طُعمَةُ الســـيوفِ

الأرضُ تبكي والسَما .. واويلاه

هذا حُسينٌ في الدِما .. واويلاه

حيدرْ .. حيدرْ .. حيدرْ

حُسينْ مظلومْ ... حُسينْ شهيدْ

حيدرْ .. حيدرْ .. حيدرْ[1]

---

(1) من الشعارات المعروفة التي تردّدها مواكب التطبير الحسيني .

((إختلافُ الرأي لا يُفسِدُ للودِّ قضية))

من دونِ مقدّمةٍ أدبيةٍ أو تأريخيةٍ أو تحامُل أو انتقادٍ لاذعٍ لهذا الطرفِ أو ذاك أشـــرع في صلبِ موضوعي ألا وهـــو التطبير: أحدُ مراسِمِ العزاء الحسيني في يوم عاشوراء. وإنّي أجدُ نفســـي في غنىً عن تعريفه لشـــهرته وشـــيوعه وذيوعه بين أبناء التشيّع في كلِّ مكان من هذا العالم أنّى وُجِدوا.

وليسَ خفياً فإنّ الخلافَ في زماننا هذا محتدمٌ حول هذه الشعيرة الحسينية بين قائلٍ بحرمتها وبين معتقدٍ جوازَها، بل استحبابَها من جهةِ كونها أحدَ مصاديقِ إظهارِ الحزنِ والجزع على سيد شباب أهل الجنة عليه السلام والذي اَكّدَتْ عليه وأوصت به أحاديث وكلماتُ أهل البيت عليهم السلام .

ومن هُنا فإني سأتناولُ هذه المسألةَ من جميع جهاتها، مبتهلاً إلى اللّه تعالى في التوفيق والسداد، ومتوسلاً إليه بدم المظلومِ في كربلاء أن يعجّلَ فَرَجَ الطالبِ بثأره، وأن يجمعَ كَلمةَ شيعةِ أهل

البيت عليهم السلام على الحقّ . إنّه سميعٌ مجيب .

المــؤلِّــف

1420 هــ

الفصلُ الأوّلُ

أدِلَّـــةُ

مانعـــي التطبير

والقائلين بحرمته

المعارضونَ للتطبيرِ والقائلونَ بحرمته:

كُلُّ ما عندهم:

أولاً – **التطبيرُ بدعة .**

ثانياً – **فيه إضرارٌ بالنفس .**

ثالثاً – **فيه توهين للمذهب .**

وسأتناول هذه الامور الثلاثة بما يناسب المقام :

أولاً:– قولهم: بأنّ التطبيرَ بدعة .

ما هي البدعة ؟

الذي عليه أهل التحقيق والنظر أنّ البدعة:

أ – نفيُ أو إنكار أو جحودُ ما ثبت بالأدلة الصحيحة أنه من ديننا الذي يرتضيه الله ورسوله وآله الاطهار صلوات الله عليه وعليهم عقائدياً كان أو فقهياً أو سلوكاً أخلاقياً وأدبياً.

ب – الإفتراءُ على الله وعلى رسوله والأئمة المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، إمّا بتفسير النصوص الشرعية وفقاً للآراء والأهواء، وإمّا بإضافة أشياء جديدة الى الدين ما هي من الدين أصلاً

ولا فرعاً ولا مفهوماً ولا مصداقاً.

ولا يمكنُ لأحدٍ أن يجعل التطبير مصداقاً لأيٍّ من المعنيين المذكورين إذ أنّ القول بجواز التطبير وإباحته لا يستلزم نفيَ أو إنكارَ أو جحود أيّ شيء من دين اللّه سبحانه وتعالى، وكذا فإنه لا يفسّرُ شيئاً ولا يضيفُ شيئاً الى دين اللّه مما هو ليس منه ؛ إذ غايةُ الأمر أنَّ التطبيرَ مظهرٌ من مظاهر الحزن والجزع على سيد الشهداء صلوات اللّه عليه اللذين أكّدت عليهما سنة المعصومين عليهم السلام وأوصت بهما .

وليس خفياً فإنّ الحزن والجزع على مراتب يختلف التعبير عنها من إنسان لآخر بحسب انفعاله وتأثره، فقد يكون التعبير عن الحزن بالتحسر والتوجّع، أو بالإكثار من الإسترجاع والحوقلة، أو بالسكوت والإنطواء، أو بترك الملّذات والمسرّات، أو بلبس ثياب الاحزان والظهور بمظهر أهل المصاب، أو بالبكاء والنحيب، أو بالصراخ والعويل، أو بلطم الوجه ولدم الصدر، أو بضرب الرأس أو الجسد باليد أو بالحجر أو غيره، أو بضرب نفسه بالأرض، أو بحثو التراب والرماد على الرأس والوجه والبدن، أو بالإنقطاع عن الطعام والشراب، أو بهجر النوم والفراش، أو بأي فعل آخر يكون بحسب العرف أو بحسب ذوق أهل المصاب وبحسب ما يستشعره صاحب المصيبة بأنه قد فعل

شيئاً يُعبِّرُ فيه عن عظم مصابه ورزيته (**مصيبةً ما أعظمها وأعظمَ رزيتها في الإسلام وفي جميع السماوات والارض)**[1].

وما التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام إلاّ مرتبة من تلكم المراتب التي يراها بعض المحبين أنها وسيلة للتعبير عن حزنهم وجزعهم لهذه المصيبة العظمى والرزية الكبرى .

فأينَ وجهُ تسميةِ التطبير ووصفِه بأنه بدعة إذَن ؟

أليس الأَولى أن نَصِفَ حُكم التحريم من دون دليلٍ من كتابٍ أو سنة بأنّه بدعة ؟

اِذْ اتفقت كلماتُ فقهائنا مَن مَضى منهم ومن حضر في اُصول استنباط الفتاوى والأحكام على أن نتمسّكَ بالأصل العملي حين عدم النص .

وإننا وبنحوٍ قطعي لا نملك نصاً أبداً لا من كتاب ولا من سُنّة يمنع التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام[2]، لذا وجبَ علينا والحال هذه أن نتمسّك بأصالة البراءة: (**كل شيء هو لك حلال حتى**

---

(1) مصباح الزائر للسيد ابن طاووس (ره) ص 270 من زيارة عاشوراء المروية عن الإمام الباقر عليه السلام.

(2) بل سترى فيما سيأتي في مطاوي هذا البحث نصوصاً من الكتاب والسنة تدل على رجحان التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام.

تعلم الحرام بعينه)[1].

أفليسَ الحقُّ هذا ؟!

أوليسَ طريقةُ الإستنباط والإجتهاد والإفتاء والفقاهةِ عند كلِّ فقهاء الشيعة هي هذه ؟!

أوليسَ الخروج عن هذه الطريقة في الإستنباط والإفتاء المعروفة هو الأولى بوصف البدعة والإبتداع ؟!

آهٍ ..... لو أنصَفَ الحَكَمُ !

ومع كلِّ ذلك فإنّا لا نريدُ أن نَصِفَ حُكَم المنع والتحريم بأنّه بدعة، ولكننا نحمله على أحسن المحامل فنقول: إنه إشتباهٌ وتسرّعٌ وتحكّمٌ وعدمُ دقةٍ وتمحيص، وإنّـــه قولٌ بلا دليل شرعي صحيح .

ثانياً: انّ التطبيرَ موجبٌ لإلحاقِ الضرر بالنفس:

أولُ سؤال يطرح نفسه:

أين يكون الضررُ الذي يُلْحِقُهُ التطبيرُ بالنفس ؟

أهو في الإدماء وخروج الدم فقط ؟

---

(1) الأصول الاصلية والقواعد الشرعية للسيد عبدالله شبر (ره) ص215 نقلاً عن كتاب الكافي، والرواية منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام.

أم هو في جرح الرأسِ المشتمل على الإدماء ؟

أمّا مجرّدُ خروج الدم من البدن أو إخراجه – بلفظٍ أدق – فلقد أوصى نبينا وأئمتنا صلوات اللّه عليه وعليهم بالحجامة والفصد[1] وقد فعلوهُ مراراً وتكراراً أمام أعين أصحابهم وذويهم، وقد جاءتنا الأحاديث الشريفة عنهم عليهم السلام تخبرنا بالمنافع الصحية الجمّة لهذين الأمرين. وأمّا علم الطب الحديث فضلاً عن تأيـــيده للحجامة والفصد فإنه يوصي بمسألة إخراج مقدارٍ من الدم بين المدة والأخرى لأجل ضخٍّ دم جديد في بدن الإنسان، وذلك أنّ اللّه سبحانه وتعالى أعطى بدن الإنسان قدرة على توليد دمٍ جديدٍ يبعث النشاط في بدن الإنسان حين يفقد مقداراً من دمه. ولذا فإننا نرى كثيراً من الناس يبادرون إلى المستشفيات العامة أو إلى بنوك الدم للتبرع بمقادير من دمائهم بحسب ما فيه الفائدة الصحية لهم ولهذه المؤســـسات .

ولطالما يتعرّضُ الإنسان في حياته لكثير من الحوادث التي قد يفقد فيها

(1) ومن موارد الإدماء الأُخرى التي أوصت بها الشريعة السمحاء: الإختـــتان فهو مستحب لغير البالغ، وواجب على من بلغ، وكذلك ثقب اُذن الصبي فهو مستحب وممدوح في كلمات المعصومين عليهم السلام، وجواز ثقب منخر الانف للمرأة لأجل تعليق الخِزامة، وغير ذلك من الموارد الأُخرى .

مقداراً كثيراً من دمه ولا يؤثّر ذلك عليه ولا على قدراته، اذ سرعان ما يرجع إلى حالته الأولى . ومن هنا فإنّ فقدان الجسم لمقدار من الدم لا يُعدّ ضرراً، بل قد يكون نفعاً وفائدة، ولذا فلا يُعدُّ هذا الأمر بشيء خصوصاً فيما نحن فيه حيث أنّ المانعين والقائلين بحرمة التطبير حزناً وجزعاً على الحُسين عليه السلام يؤكدون على التبرع بالدم بدلاً من التطبير .

وأما جرحُ الرأس الذي قد يذكره البعض عنواناً للضرر الذي يلحقُ الإنسان، فأقول: إنّ مثل هذا الضرر وأشَدّ منه قد أجازه الفقهاء ما دام لا يؤدّي إلى شلل في أحد أعضاء البدن، ولا يكون سبباً لقطع تلكم الأعضاء أو فسادها، ولا يُفْقِدُ الإنسان قدرة من قُدراته أو حاسة من حواسه، ولا يصيبه بداءٍ عضالٍ أو مرضٍ مزمنٍ يُقعدُهُ عن الحركة والعمل . إذْ أجازوا ممارسة الرياضات العنيفة مثل المصارعة والملاكمة والجودو والكراتيه والكونفو وغيرها مع ما تسببه من الآلام الشديدة والجراحات والرضوض والكسور غير البالغة، بل أجازوا ما هو الأكثر من ذلك في التدريبات العسكرية لأجل تهيئة الجيوش وإعدادها للدفاع وقت الحاجة عن الدين أو الوطن أو النفس أو المصالح المهمة . ولا ننسى أيضاً المخاطر القويّة والأضرار الشديدة المحتملة لسباق الخيول

والدراجات البخارية والسيارات والزوارق السريعة والتزلّج في المناطق الخطرة مع القفز من الإرتفاعات العالية الى غير ذلك من فنون رياضات هذا العصر وجنونه.

وإننا لنستغربُ أشدّ الإستغراب إذ أنّ القائلين بحرمة التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام ومنعه، يجيزون ما تقدّمَ من ضررٍ مذكور في الألعاب الرياضية وغيرها، ويعتبرون أنفُسهم في ذلك ممّن يواكبون العصر ويشجّعون الرياضة ووو... إلى غير ذلك.

ولكن ما إن يصل الكلام إلى الشعائر الحسينية والتطبير على ريحانة رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله إلاّ كانَ وكانَ ... .

ومع كل هذا الكلام والتنظير فإنّ الواقع العملي يشهد بعدم ترتب أي ضررٍ على المشتركين في مواكب التطبير الحسيني، ولا أظنُّ أنَّ ذا وجدانٍ ينكر ذلك . ورحم اللّه شيخنا مرجع الطائفة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء اذ يقول في كتابه (**الآيات البينات**): (**فلقد بلغنا من العمر ما يناهز الستين، وفي كلّ سنة تقام نصبَ أعيننا تلك المحاشد الدموية وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرر ولا سمعنا به في الغابرين**).

وحتى لو سلّمنا رغم ما تقدّمَ من كلامٍ بوجود ضررٍ يلحقُ الإنسانَ نتيجة التطبير فلا يكون هذا دليلاً كافياً أو ملاكاً تاماً للتحريم والمنع ؛

اذ متى حرّمت الشريعةُ كلَّ عملٍ يسببُ الضرر للإنسان ابتداءاً من الخدشة الصغيرة وإنتهاءاً بالموت أو القتل بأبشع صورةٍ وأوحشها، وما يقع بين هذين من مراتب كثيرةٍ للضرر والإضرار بالنفس ؟! فلا يخفى على أهل الفقه والدين والعقل من أنّ الضررَ بل الإضرار في الامور الراجحة عموماً والواجبة خصوصاً في نظر الشرع أو العقل أو العرف الصحيح قد يكون واجباً بدرجةٍ لا تقبلُ الترك، إما من جهة الشرع أو من جهة العقل، وقد يكون بدرجة ممدوحةٍ وحسنةٍ في نظر العقل والعرف الصحيح، أو مستحبة ومندوبة في نظر الفقه والشريعة، ولكن بشرط ان يكون مقدار الضرر مناسباً للقصد والهدف وأهميتهما إبتداءاً من الخدشة وإنتهاءاً بالقتل الفظيع .

بل انّ الحقيقة أنّ الانسان في أغلب حالاته الدينية والدنيوية ان لم يكن في جميعها في معرض إلحاق الضرر بالنفس على إختلاف مراتبه، أوليسَ أفضلُ الأعمال أحمزها ؟! أي أشدّها وأشقّها . وأنّ الثواب على قدر المشقة . هكذا علَّمنا نبينا وأئمتنا صلّى اللّه عليه وعليهم أجمعين .

ولذا تعلو درجات العباد بقدر ما يلقونَ من أذىً وعنت في سبيل اللّه، ولعلَّ الجهادَ والمرابطة في سبيل اللّه من أوضح مصاديق إلحاق الضرر الشديد بالنفس، فيكون واجباً في أحيان لا يجوز تركه، ويكون مستحباً

في أحيان أخرى له الأولوية على كل عملٍ آخر. وهكذا فإنَ السعي للوقوف بوجه الظالمين وطلب إصلاح المجتمع وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بعض درجاته ونشر دين اللّه، كلّ ذلك وغيره يستلزم إلحاق الضرر الشديد بل الهلاك أي الموت في بعض المراتب والدرجات . ولا يقف الأمر عند هذا الحد فالذهاب إلى الحج والى زيارة المعصومين عليهم السلام مشياً على الأقدام، وتجشُّم المتاعب الصعبة والمعاناة الشديدة في تلكم الأسفار البعيدة ممّا حثّتْ وأكّدت عليه شريعة اللّه . ويضاف إلى ذلك ما يلقاه الإنسان من أذىً وما يلحقه من ضرر سواء في أسفار التجارة والكسب والمعاش، أو في ما يلقاه من أذىً في مختلف أنواع المهن والحِرَف خصوصاً في زماننا هذا حيث نرى أنّ الكثير من المؤسسات الصناعية والإنشائية، تعطي للعاملين فيها مقداراً من المال زيادة على أجورهم ورواتبهم، بسبب ما يلقونه من ضررٍ يومي يؤثر على أوضاعهم الصحية وقواهم البدنية بشكل مباشر إلى غير ذلك من:

أضرار إستعمال الأدوية المختلفة لعلاج الأمراض،

وأضرار إجراء العمليات الجراحية،

وأضرار تلوث البيئة والعيش في المدن الملوّثة،

وأضرار كثرة المواد الكيمياوية التي أخذت تدخل في كل جزء من أجزاء طعامنا الحيواني والنباتي،

وأضرار الأصوات والتلوث الصوتي على المخ والقلب والجهاز العصبي،

وأضرار التدخين وإستعمال الأدوية المُهدِّئـــة،

وأضرار كثرة الأكل والإكثار من الدهون والسكريات المصنوعة،

وأضرار الأشعة والأمواج المختلفة الصادرة من كل أجهزة الإتصالات والطباعة والمعلومات المرئية منها وغير المرئية،

وأضرار الألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها(1)،

وأضرار التجارب العلمية في المختبرات ..... إلى غير ذلك من أنواع الأضرار التي تحيط بنا ونسعى إليها بأنفسنا ونبذل الأموال في أحيان كثيرة لأجل الوصول إليها .

وإني لأعجبُ أن يقولَ البعضُ بحرمة التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام من جهة ضرره الصحي ويتمادى في ذلك، و لم

---

(1) أعني الأضرار التي قد يصاب بها اللاعبون أثناء التدريبات، وكذلك أثناء اللعب والمسابقات مضافاً الى ذلك اضرار العنف التي تقع بين جمهور المشاهدين، ولعل مونديال باريس 1998 من أوضح شواهد العنف بين جمهور المشاهدين والمتابعين عن بُعدٍ أيضاً.

ينبسّ ببنت شفةٍ عن ضرر التدخين، بل نجده من المدمنين على التدخين الثقيل مع أننا وكل الناس يعلمون مدى ضرر التدخين على الصحة وغيرها ؛ إذ أنّ التدخين:

1- يعود بالضرر الكبير على نفس المدَخِّن بما يسببه التدخين من أمراض خطيرة كما يشهد بذلك علم الطب، أو ما يؤدي إلى إستفحال أمراض موجودة وعدم التمكن من علاجها، وقد ثبت ذلك علمياً وعملياً في حياتنا اليومية .

2- يسبب الأضرار والمشاكل الصحية لمن يُجالسون المدخِّن ويكونون على مقربة منه .

3- يؤدي إلى تلوث البيئة والتي يعمُّ ضررُها على الكل .

4- يكون سبباً لهدر الأموال الكثيرة وتحويلها إلى دخان وأوساخ.

5- يعود بالمنافع الكثيرة على شركات التدخين وعلى شركات صناعة الخمور، وذلك لإستعمال مصانع التدخين لكميات كبيرة جداً من الخمور في صناعة السجاير كما تشهد بذلك التقارير العلمية الصحيحة عن صناعة الدخان . علماً أنّ منافع هذه الشركات تصبُّ في جيوب أعداء الإسلام .

6- حينما يشربه الكبار يقلّدهم الصغار والذي قد يفتح أمامهم أبواباً

لخصال سيئة أخرى .

7- قد يكون التدخين في بعض الأحيان سبباً ومقدِّمة للإعتياد على المخدّرات القاتلة للإنسانية بكل معناها والمدمّرة للشعوب والمجتمعات.

ومع كل ذلك نرى أنّ المانعين للتطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام لضرره الصحي، إما أن يكونوا هم أنفُسهم من المدخنين، بل من المتأنــّقين في إختيار أفضل أنواع السجاير وتبوغ الغليون (pipe) المُعطّرة والمنقوعة في الكحول، أو من القائلين بإباحته وجوازه.

فأين الإنصافُ يا تُرى ؟

التدخين بكلِّ ضرره القطعي هذا لا يعارضه أحد وحتى لو عارضوه فإنّ تلك المعارضة لا تشكّلُ نسبة 1% مما أبدوه ويبدونه في معارضتهم للتطبير حزناً وجزعاً على الحسين المظلوم عليه السلام !

ولكن ماذا نقول ؟

ومن عجب الدنيا حكيمٌ مُصفِرٌ وأعمشُ كحّالٌ وأعمى مُنجِّمُ

ومخلص القول فإنّ الضرر الممنوعَ والمحرَّمَ في الشريعة الإسلامية هو:

أولاً - الضرر الذي ليس له من قصدٍ ولا هدفٍ ولا غايةٍ سوى الإضرار بالنفس فحسب كالقاصد للإنتحار، أو لقطع عضوٍ من

أعضائه من دون منفعة أو دفع مفسدة إلى غير ذلك .

ثانياً – الضرر الذي لا هدف له وإنما يكون إعتباطاً وسَرَفاً وبَطَراً .

ثالثاً – الضرر الزائد على النسبة المطلوبة من الضرر في بعض الأمور الراجحة التي تستلزم مقداراً من الضرر، فيسبِّب الإنسان لنفسه أكثر من الضرر الذي لابدّ منه مع قصد العمد في زيادة الضرر، أو مع عدم الإحتياط والتحرز بعد أن كان الإنسان عالماً بحصول الضرر الزائد أو بإحتمال حصوله[1].

والتطبير حزناً وجزعاً على أبي عبد اللّه عليه السلام مع أنّه لا ضرر فيه

---

(1) قد يعرّض الإنسانُ نفسه لضررٍ أكثر من الضرر اللازم لعمل ما ولا إشكال في ذلك، بل قد يكون عمله هذا في أعلى الدرجات وأفضلها بسبب شرف قصده وعلوِّ غايته وهدفه، حيث نسمع ونقرأ في تاريخ مقتل سيد الشهداء عليه السلام وصحبه الأبرار الأطهار حين خرج من معسكر ابن زياد لعنة اللّه عليه يسـار مولى زياد وسالم مولى عبـيد اللّه بن زياد لعنة اللّه عليهم جميـعاً فطلبـا البراز، فخرج إليهما عبد اللّه بن عمير الكلبي رضوان اللّه تعالى عليه، فشدَّ على يسارٍ بسيفه يضربه (وبينا هو مشتغل به إذ شـدّ عليه سـالم فصاح أصحـابه: قد رهقك العبد، فلم يعبأ به فضربه سـالم بالسيف فاتّقاها عبد اللّه بيده اليسرى فأطار أصابعه ومال عليه عبد اللّه فقتله) / مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء للسيد عبد الرزاق المقرّم (ره) ص 238. وكذاك موقف عابس بن شبيب الشاكري رضوان اللّه تعالى عليه الذي أجنَّهُ حبُّ الحسين عليه السلام فهو أشهر من نارٍ على علم .

يُعتدُّ به، وهذا ثابت بشكل عمليّ وقطعي يعرفه كل الشيعة وأرباب المواكب والعزاء الحسيني . ومع ذلك فحتى لو افترضنا وجود الضرر فيه فإنّه لا يندرج بأي وجه من الوجوه تحت أي واحدٍ من هذه الأنواع الثلاثة المحرّمة . ولا يوجد نوع رابع من الأضرار أو الضرر المحرّم .

ولا أواصل الحديث أكثر من هذا إلاّ أنني أذكر دعاء الإمام الصادق عليه السلام – وهو يناجي ربّه سبحانه وتعالى – في سجوده حيث يدعو لتلك الوجوه التي تضررت بحرارة الشمس لأجل حسين العقيدة والمبادئ صلوات اللّه عليه فيقول:

(**فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس**)[1].

ثالثاً: انَّ التطبيرَ حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام يكونُ سبباً لتوهين المذهب ! ! !:

وقد علّل المانعون والقائلون بحرمة التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام أنّ السببَ الرئيسَ في التحريم هو ما يُسبِّبه التطبير الحسينيُّ من توهين للمذهب وذلك:

1– أنّ التطبير خرافة .

(1) كامل الزيارات ص126 ب 40 ح 2 / طبعة طهران، مكتبة الصدوق .

2- أنّه ظاهرة متخلِّفة وهمجية تكون سبباً لأن يستهزئَ بنا الآخرون.

أما كون التطبيرَ خرافة:

فما هو معنى الخرافة[1] ؟

كلُّ ما هو غير حقيقي يمكننا أن نصفه بالخرافة، فلو اعتقدنا بوجود شيءٍ لا وجود له حقيقة فهو اعتقاد خرافي، ولو تحدّثنا عن شيء لا وجود له حقيقة وأخبرنا عنه أنواعاً من الأخبار ووصفناه بشتى الأوصاف فذلك حديث خرافي . أمّا أين يقع التطبيرُ حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام من ذلك ؟ فالقضية التي بين أيدينا مركّبةٌ من ثلاثة أشياء:

مصاب الحسين عليه السلام،

---

(1) خرافة في أصلها اسم رجل استهوته الجن فكان يحدّث بما رأى فكذّبوه فقالوا: (حديثُ خرافةٍ يا أُمَّ عمرو) / مجمع البحرين ج5 ص 43 و 44 مادة خرف . وفي فرائد الأدب من المنجد في اللغة ص979: خرافة رجل زعموا ان الجن استهوته مدة . ثم لما رجع إلى قومه أخبرهم بما رأى فكذّبوه حتى صاروا يقولون لما لا يمكن وقوعه: (حديث خرافة). ونفس هذا المعنى جاء مذكوراً في كل كتب اللغة وقواميسها وكتب الأمثال والأخبار .

والحزن والجزع عليه بحسب ما أمرت وأوصت به النصوص الشريفة،

والتطبير الذي هو مظهر أو تعبيرٌ عمليٌّ عن ذلك الحزن والجزع المقدّسين .

والثلاثةُ هذه كلها حقيقة موجودة في الواقع الخارجي، **فأينَ الخرافة التي لا وجود لها بيننا ؟!**

اللهم إلاّ أن يقول القائل بأنّ الخرافة هي أن نعتقد بأنّ التطبير جزءٌ من الدين، ولا قائل بذلك أبداً، إنما التطبير كما يعرفه الخاصُ والعام وسيلة تعبيرية عن الحزن والجزع اللذين أمرت بهما شريعة اللّه ودينه على لسان أوليائه وحججه صلوات اللّه عليهم أجمعين .

فما معنى وصفِ التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام بالخرافة إذن ؟!

أليس الأولى أن نصفَ مثل هذا الكلام بالخرافة ؟

لأنه تحدّث عن معنىً وحكمَ عليه بشيءٍ لا وجود له أصلاً وليس فيه أبداً. والحقيقة أنّ هذا الكلام هو الخرافة بعينها .

ومع ذلك أعود فأقول: انّ أحسنَ المحامل هو أن نصف هذه الأقوال بالتسرّع وعدم الدقة والتمحيص .

هذا بالنسبة للخرافة . أمّا كون التطبير الحسيني ظاهرةَ تخلّف وهمجيةٍ تكون سبباً للإستهزاء والسخرية بنا وبمذهبنا من قبلِ الآخرين، فهذا ما سيكون الكلام عنه الآن .

أمّا أوّلاً – ما هي الهمجيةُ أو التخلفُ الذي يفعله أهلُ مواكب التطبير ؟

هل يعتدون على أحدٍ من الناس بشتمٍ أو ضربٍ أو جرح ؟

هل قتلوا أحداً من الجماهير التي تجتمع لمشاركتهم العزاء أو أرعبوا أحداً وأخافوه وإستلبوا أمنه ؟

هل عذّبوا أحداً بصنوف العذاب – كما يفعل من يفعل – مع إدّعاءات عريضة كبيرة ؟

هل أخربوا داراً أو صادروا مالاً أو غصبوا حقاً ؟

هل فعلوا فساداً أو فاحشةً حينما يلبسون أكفانهم البيضاء وترتفع أصواتُهم: يا حسين ... يا حسين ؟

هل خرجوا إلى الشوارع يثيرون الشهواتِ والمفاسد والمنكرات ؟

وهَلْ .. وهَلْ .. وهَلْ . . . . .

فأينَ هي الهمجيةُ يا تُرى ؟

أُناسٌ يعبّرون عن حزنهم على إمامهم المظلومِ ويناجونه من كل قلوبهم

مخاطبين له:

(حتى نكّسوكَ عن جوادك؛ فهويتَ إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاةُ ببواترها، قد رشح للموت جبينُك، وإختلفت بالإنقباض والإنبساط شمالُك ويمينُك، تُديرُ طرفاً خفياً إلى رحلك وبيتك، وقد شُغِلتَ بنفسك عن ولدك وأهاليك، وأسرعَ فرسُكَ شارداً، الى خيامكَ قاصداً محمحماً باكياً)[1].

وأمّا ثانياً – فمن هُمُ الذينَ يستهزءون بنا ؟ وما قدرُهم ؟ وما قيمة إستهزائهم ؟ ثم ما هو الجديد في الأمر ؟

إذ أنّ أعداءِ اللّه مُذ كانوا فهم يسخرون من ديننا، وعقيدتنا، وفقهنا، وأحكامنا، وعباداتنا، ومناسكنا، وآدابنا، وأعرافنا، وتأريخنا، ولا يقرّون بأي جميلٍ لنا . وهذا قرآننا يصدعُ في أسماعنا بأنّ كلّ الرسل والأنبياء السابقين عليهم السلام كانوا مَعرض إستهزاءٍ وسخريةٍ من قبل أعدائهم وأقوامهم، فما كان منهم إلاّ الثبات والإصرار وما كانوا يعبئون بكل ذلك ما داموا على الحقّ والهدى، وكذلك نبيّنا الأعظم وأئمتنا الأطهار صلوات اللّه عليه وعليهم لقوا ما لقوا في هذا السبيل؛ ممّا هو أشدّ

(1) بحار الانوار ج 101 ص322 ب24 ح 8 / زيارة الناحية المقدّسة .

وأعظم من الذي لقيه الأنبياء والأوصياء السابقون عليهم السلام، أوليس المصطفى صلّى اللّه عليه وآله هو الذي يقول: (**ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت**)، ولذا فإني لا أردُّ بشيءٍ على المتحجِّجين بإستهزاءِ وسخرية الآخرين وانّما أستنير بكتاب اللّه في ردِّهم ومناقشتهم:

1- ﴿ **زُيِّنَ للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتَّقوا فوقَهُمْ يومَ القيامة** ﴾ 212 / البقرة

2- ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا الذين اتّخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من الذين أُتوا الكتابَ من قبلِكم والكفّارَ أولياء واتقوا اللّه إن كنتم مؤمنين ۞ واذا ناديتُمْ إلى الصلاة اتخذُوها هُزُواً ولعباً ذلك بأنهم قومٌ لا يعقلون** ﴾ 57 و 58 / المائدة

3- ﴿ **فقد كذّبوا بالحقِّ لـــمّا جاءَهم فسوفَ يأتيهم أنباءُ ما كانوا به يستهزءون** ﴾ 5 / الأنعام

4- ﴿ **ولقد استُهزىءَ برُسُلٍ من قبلك فحاقَ بالذين سَخِروا منهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾ 10 / الانعام

5- ﴿**وَلئن أخّرنا عنهمُ العذابَ إلى اُمّةٍ معدودة ليقولُنّ ما يحبسُهُ، ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون**﴾ 8 / هود

6- ﴿ ويصنعُ الفُلكَ وكُلَّما مرَّ عليه مَلأ من قومه سَخِروا منه، قال إنْ تسخروا منّا فإنّا نسخرُ منكم كما تسخرون ﴾ 38 / هود

7- ﴿ ولقد استُهزِئَ برُسُلٍ من قبلك فأمليتُ للذين كفروا ثم أخذتُهُم فكيف كان عقاب ﴾ 32 / الرَعد

8- ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شِيَعِ الأولين ۞ وما يأتيهم من رسولٍ إلاّ كانوا به يستهزءون ﴾ 10 و 11 / الحِجر

9- ﴿ فأصابهم سيئاتُ ما عملوا وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ 34 / النحل

10- ﴿ وما نُرسل المرسلين إلاّ مُبشّرين ومُنذرين، ويُجادل الذين كفروا بالباطلِ ليُدحِضُوا به الحقَّ، واتخذوا آياتي وما أُنذروا هُزُواً ﴾ 56 / الكهف

11- ﴿ ذلك جزاؤُهُم جهنّمُ بما كفروا واتّخذوا آياتي ورُسُلي هُزُوا﴾ 106 / الكهف

12- ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتّخذونَك إلاّ هُزُواً أَهذا الذي يذكرُ آلهتكم وهم بذكر الرحمنِ هم كافرون ﴾ 36 / الأنبياء

13- ﴿ ولقد اُستُهزئَ برُسُلٍ من قبلِكَ فحاق بالذين سَخِروا منهم

ما كانوا به يستهزءون ﴾ 41 / الأنبياء

14- **﴿ إنه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنّا فاغفرْ لنا وارحمنا وأنتَ خير الراحمين ۞ فاتّخذتموهم سِخريّاً حتى أنسوكم ذِكري وكنتم منهم تضحكون ۞ إنيّ جزيتُهُمُ اليوم بما صبروا أَنّهم هُمُ الفائزون ﴾** 109 و 110 و 111 / المؤمنون

15- **﴿ وإذا رأوْكَ إنْ يتّخذونك إلاّ هُزُواً أهذا الذي بعثَ اللّهُ رسولاً ﴾** 41 / الفرقان

16- **﴿ وما يأتيهم من ذكرٍ من الرحمنِ مُحدَثٍ إلاّ كانوا عنه معرضين ۞ فقد كذّبوا فسيأتيهم أنباءُ ما كانوا به يستهزءون ﴾**

5 و 6 / الشعراء

17- **﴿ ثُمّ كان عاقبةَ الذينَ أساءُوا السُوأى أن كذّبوا بآياتِ اللّهِ وكانوا بها يستهزءون ﴾** 10 / الروم

18- **﴿ ومنَ الناس من يشتري لهو الحديثِ ليُضِلَّ عن سبيل اللّه بغير علمٍ ويتخذها هُزُواً، اُولئك لهم عذابٌ مُهين ﴾** 6 / لُقمان

19- **﴿ يا حسرةً على العبادِ ما يأتيهم من رسولٍ إلاّ كانوا به يستهزءون ﴾** 30 / يس

20- ﴿ بل عَجِبتَ ويسخرون ۞ واذا ذُكّروا لا يذكرون ۞ وإذا رأوا آيةً يستسخرون ﴾ 12 و 13 و 14 / الصافّات

21- ﴿ وقالوا ما لَنا لا نرى رجالاً كُنّا نعُدُّهُم من الأشرار ۞ أَتّخذناهم سِخريّاً أم زاغت عنهُمُ الأبصار ﴾ 62، 63 / ص

22- ﴿ وبَدا لــهم ســيئاتُ ما كسبُوا وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ 48 / الزُمَر

23- ﴿ واتَّبعوا أحسنَ ما اُنزلَ إليكُم من ربِّكُم من قبلِ أن يأتيكُمُ العذابُ بغتةً وأَنتم لا تشعرون ۞ أَن تقولَ نفسٌ يا حسرتي على ما فرّطتُ في جنب اللّهِ وإن كنتُ لَمِنَ الساخرين ﴾ 55 و 56 / الزُمَر

24- ﴿ فلمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بالبيّناتِ فَرِحوا بما عندهم من العلمِ وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ 83 / غافر

25- ﴿ وكم أرسلنا من نَبيٍّ في الأوّلين ۞ وما يأتيهم من نبيٍّ إلاّ كانوا به يستهزءون ﴾ 6 و 7 / الزخرف

26- ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعونَ ومَلإِهِ فقال إني رسول ربِّ العالمين ۞ فلمّا جاءَهم بآياتنا اِذا هُمْ منها يضحكون ﴾ 46 و 47 / الزخرف

27- ﴿ **وإذا عَلِمَ من آياتِنا شيئاً اتّخذَها هُزُواً، اُولئك لهم عذابٌ مُهين** ﴾ 9 / الجاثية

28- ﴿ **وبدا لهم سيئاتُ ما عملوا وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون**﴾ 33 / الجاثية

29- ﴿ **ذلكم بأنّكم اتّخذتم آياتِ اللّه هُزُواً وغرّتكُمُ الحياةُ الدنيا، فاليومَ لا يُخرَجون منها ولاهُم يُستَعتبون** ﴾ 35 / الجاثية

30- ﴿ **اِذ كانوا يجحدون بآياتِ اللّه وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾ 26 / الأحقاف

31- ﴿ **أَفَمِن هذا الحديثِ تعجبون ۞ وتضحكون ولا تبكون** ﴾ 59 و 60 / النجم

32- وختامُ ما نذكره من كلام اللّه سبحانه وتعالى هو آيتان من سورة المطفّفين:

اُولاهما: ﴿ **إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون** ﴾ 29 / المطفّفين

واُخراهما فيها حديث العاقبة حين تقوم الساعة:

﴿ **فاليومَ الذين آمنوا من الكُفّار يضحكون** ﴾ 34 / المطفّفين

وبعد ذكر هذا الحشد المتظافر المبارك من الآيات القُرآنية الكريمة، وقبل كلِّ شيء لابُدَّ أن أُنبِّهَ إلى أنني لا أريد الاستدلال بهذه الآيات المباركة بخصوص مسألةِ التطبير بنحوٍ خاص وإنّما كان الغرضُ من ذكرها:

أولاً - تذكرةً وتنبيهاً إلى أنّ الإستهزاء والسخرية من الأمور التي واجهت كلَّ انبياء اللّه ورسله وأوصيائهم عليهم السلام وكذلك أتباعهم فيما مضى من الزمان وفيما حضر وفيما يأتي .

ثانياً - نلاحظُ أنّ القرآن الكريم قد حدّثنا وأخبرنا في آياته السابقة الذكر بأنَّ الإستهزاء والسخرية قد طال خاتم الأنبياء صلّى اللّه عليه وآله ومن سبقه من الرسل عليهم السلام، وكان موجّهاً ومصبوباً على الذين آمنوا وعلى دينهم وعلى صلاتهم وعلى قرآنهم وعلى آيات اللّه وأمر اللّه وجنب اللّه وعلى كلِّ ما يمتّ للدين والعقيدة والعبادة والأحكام الشرعية بصلةٍ من قريب أو من بعيد .

ثالثاً - بَيّنَ لنا كتابُ اللّه العزيز ما هو الموقف الشرعي الذي يريده اللّه سبحانه وتعالى منّا أزاء هذه السخرية وهذا الإستهزاء ؟ وذلك في مواضع من الكتاب الكريم:

1- ﴿ **وقد نزّلَ عليكم في الكتاب أنْ إذا سمعتُم آياتِ اللّه يُكفَرُ بها**

ويُستهزَأُ بها فلا تقعُدُوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره، إنّكم إذاً مثلُهُم، إنّ اللّه جامعُ المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾

140 / النساء

2- **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفّار أولياء واتقوا اللّهَ إن كنتم مؤمنين﴾** 57 / المائدة

3- **﴿ ولتسمعُنّ من الذين اُتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً، وإِنْ تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزمِ الاُمور﴾**

186 / آل عمران

4- **﴿ وعبادُ الرحمنِ الذين يمشون على الأرضِ هَوْناً وإذا خاطبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سلاما ﴾** 63 / الفرقان

5- **﴿ ويصنعُ الفُلكَ وكلّما مرّ عليه مَلأٌ من قومه سَخِروا منه، قال إن تسخروا منّا فإنّا نسخرُ منكم كما تسخرون ﴾** 38 / هود

فنرى أنّ قرآننا العزيز ينهانا عن الحضور في مجالس المستهزئين ويأمرنا بألاّ نتخذهم أولياء ونلقي إليهم بالمودة، ويوصينا بالصبر والثبات في مواجهة أَذاهم وسخريتهم وإستهزائهم . بل يحدثنا عن حالة من السمو

النفسي في وصفه لعباد الرحمن بأنهم لا يعبئون بهم على أية حال ولا يرون لهم ولا لإستهزائهم من قيمةٍ أبداً: ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾. وفي آيةٍ أُخرى يرسم لنا كتابنا العزيز أُسوةً حسنةً في قصة نوح عليه السلام: ﴿ **قال إن تسخَروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون** ﴾ .

فهذا كتاب اللّه وهذه آياته التي لا نجدُ فيها موضعاً يُعطي للإنسان المؤمن عذراً أو مجالاً أن يلغي بسبب الإستهزاء والسخرية من قبل الآخرين ما هو شيءٌ صحيح في نفسه، وأن يحرِّمَ ما هو جائزٌ بل راجح في الشريعة المقدّسة . ولإشباعِ المبحث وتوضيح الصورة فإني سأُورد بعضاً من الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن القضية الحسينية بنحوٍ خاص وتتناول مسألة الإستهزاء والسخرية، وما يجب أن يكون عليه الشيعي في مواجهة ذلك:

1- عن النبي صلّى اللّه عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين علياً عليه أفضل الصلاة والسلام: (**فأبشِرْ وبشِّر أولياءَك ومُحبِّيك من النعيم وقرةَ العين بما لا عين رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيِّرون زُوّار قبوركم بزيارتكم كما تُعيَّر الزانيةُ بزناها، اولئك شرار اُمتي لا أنالهم اللّه بشفاعتي ولا يرِدُون**

حوضي)[1].

(1) الوسائل ج1 ص298 ب26 ح1، وجواهر الكلام ج7 ص289 من كتاب الحج / طبعة بيروت (القطع الكبير)، مؤسسة المرتضى العالمية ودار المؤرّخ العربي، والتهذيب ج2ص7.

وإليك الحديث بتمامه مثلما جاء في كتاب وسائل الشيعة:

(عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبد اللّه عليه السلام فقلت له: ما لمن زار قبره ـــ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـــ وعمّر تربته ؟ فقال: يا أبا عمّار حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي عليه السلام، إنّ النبّي صلّى اللّه عليه وآله قال له: واللّه لتقتلنَّ بأرض العراق وتدفن بها، قلت: يا رسول اللّه ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها ؟ قال لي: يا أبا الحسن إنَّ اللّه قد جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة وعرصة من عرصاتها، وإن اللّه جعل قلوب نجباءٍ من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل الأذى والمذلّة فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى اللّه، ومودّة منهم لرسوله، اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة، يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدّس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أُمه فابشر وبشر أوليائك ومحبّيك من النعيم وقرة العين بما لاعين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يُعيِّرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها أُولئك شرار أُمّتي لا أنالهم اللّه بشفاعتي ولا يردون حوضي).

2- (عن ذَريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام ما ألقى من قومي ومن بنيّ إذا أنا أخبرتُهم بما في إتيان قبر الحسين عليه السلام من الخير إنّهم يكذّبوني ويقولون: إنّك تكذب على جعفر بن محمد ! قال: يا ذَريح دع الناس يذهبون حيث شاؤوا، واللّهِ إنّ اللّه ليباهي بزائر الحسين بن علي، والوافد يفده الملائكة المقرّبين وحملة عرشه ....)[1].

(1) كامل الزيارات ب 56 ص 155 ح 5، وبحار الأنوار ج 101 ب 10 ص 75 ح 26.

واليك الحديث بتمامه كما ذكره ابن قولويه (ره) في كامل الزيارات:

(عن ذَريح المحاربيِّ قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: ما ألقى مِن قومي ومِن بني إذا أنا أخبرهم بما في إتيان قبر الحسين عليه السلام من الخير إنهم يكذّبوني ويقولون: إنك تكذب على جعفر بن محمّد ! قال: يا ذَريح دَع الناس يذهبون حيثُ شاؤوا، واللّهِ إنَّ اللّهَ ليباهي بزائر الحسين بن عليّ، والوافد يفده الملائكة المقرّبين وحملة عرشِه حتى أنّه ليقول لهم: أما ترون زُوّار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه والى فاطمة بنت رَسول اللّه محمّد، أما وعزّتي وجلالي وعَظمتي لأوجبنَّ لهم كَرامتي ؛ ولأدخلنّهم جنَّتي التي أعددها لأوليائي ولأنبيائي ورُسُلي، يا ملائكتي! هؤلاء زُوّار قبر الحسين حبيب محمّد رسولي، ومحمّدٌ حبيبي، ومَن أحبَّني أحَبَّ حبيبي، ومَن أحَبَّ حبيبي أحبَّ من يحبُّه، ومَن أبغض حبيبي أبْغضَني ومَن أبغضني كان حقّاً عليَّ أنْ أُعذِّبه بأشدِّ عَذابي وأُحرِقَه بحَرِّ ناري، وأجعل جهنّم مسكنَه ومأواه، وأُعذِّبه عذاباً لا أُعذِّبه أحداً مِن العالمين) .

3- من دعاء الإمام الصادق عليه السلام في سجوده لزوار جدّه الحسين صلوات اللّه عليه: (**اللهمَّ يا من خصَّنا بالكرامة ... إغفر لي ولإخواني وزُوّار قبر أبي الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برِّنا، ورجاءً لما عندك في صِلَتِنا، وسروراً أدخلوه على نبيك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوِّنا، أرادوا بذلك رضاك ... اللهمَّ إنّ أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم يَنهِهم ذلك عن الشخوص إلينا خِلافاً منهم على من خالفنا ...**)[1].

(1) كامل الزيارات ب 40 ص 125 ح 1، ووسائل الشيعة ج10 ب 37 ص320 ح7، وبحار الأنوار ج 101 ب 1 ص 8 ح 30، ورواه الشيخ الكليني (ره) في الكافي / كتاب المزار، والصدوق (ره) في ثواب الأعمال، وغيرهم .

وإليك الحديث بتمامه وكماله مثلما جاء في وسائل الشيعة لشيخنا الحر العاملي (ره):

(عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد اللّه عليه السلام فقيل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاَّه، فجلست حتّى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربّه وهو يقول: يا من خصّنا بالكرامة، وخصّنا بالوصيّة ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، إغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي الحسين صلوات اللّه عليه الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك صلوات الله عليه وآله، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنّا بالرضوان

وإكلأهم باللّيل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خَلَّفوا بأحسن الخلف، وإصحبهم واكفهم شرَّ كلّ جبّار عنيد، وكلّ ضعيف من خلقك أو شديد، وشرّ شياطين الجنّ والإنس، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم (وأبدانهم) وأهاليهم وقراباتهم، اللّهمَّ إنّ أعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد اللّه عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت وإحترقت لنا، وارحم الصرّخة التي كانت لنا، اللّهمَّ إني أستودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان حتّى توافيهم على الحوض يوم العطش .

فما زال وهو ساجد يدعو اللّه بهذا الدعاء، فلمّا انصرف قلت: جعلت فداك لو أنّ هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف اللّه لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً، واللّه لقد تمنّيت أني كنت زرته ولم أحجّ، فقال لي: ما أقربك منه، فما الذي يمنعك من زيارته، ثمّ قال: يامعاوية لَمَ تدع ذلك ؟ قلت: لم أدرِ أنّ الامر يبلغ هذا كلّه، قال: يا معاوية من يدعو لزوّاره في السّماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض يا معاوية لاتدعه، فمن تركه رأى من الحسرة ما يتمّنى أن قبره كان عنده، أما تحبّ أن يرى اللّه شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وعليّ وفاطمة والأئمة عليهم السلام، أما تحبّ أن تكون غداً ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له ذنوب سبعين سنة، أما تحبّ أن تكون غداً ممن تصافحه الملائكة، أما تحبّ أن تكون غداً فيمن يخرج وليس له ذنب فيتبع به، أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يصافح رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ؟!) .

4- عن الإمام الصادق عليه السلام: (**الحمدُ للّه الذي جعل في الناس من يَفِد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهذؤنهم ويُقبِّحون ما يصنعون**)[1] يهذؤنهم: يؤذونهم

(1) كامل الزيارات ب 108 ص 339 ح 1، وبحار الأنوار ج 101 ب 10 ص 73 ح21. والذي في البحار بدلاً من (يهذؤنهم) يهدرونهم أي يستبيحون دماءَهم وفي بعض النسخ يهذون بهم أي يسخرون بهم ويؤذونهم بالرديّ من القول .

واليك الحديث بتمامه وكماله كما جاء مروياً في كامل الزيارات:

(عن عبد اللّه بن حمّاد البصريّ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال لي: إنَّ عندكم أو قال: في قُرْبكم لفضيلة ما اُتي أحدٌ مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وإنَّ لها لأهلاً خاصّة قد سمّوا لها، واُعطوها بلا حول منهم ولا قوة إلاّ ما كان من صنع اللّهِ لهم، وسعادة حَباهم اللّهُ بها، ورحمة ورأفة وتقدّم .

قلت: جُعِلتُ فداك وما هذا الّذي وصفتَ لنا ولم تُسمِّه ؟ قال: زيارة جدّي الحسين بن عليٍّ عليهما السلام فإنّه غريب بأرض غُرْبَة، يبكيه من زاره، ويحزنُ له من لم يَزُرْهُ، ويحرق له مَن لم يشهده، ويرحمه مَن نظر إلى قبر ابنه عندَ رجله في أرض فَلاة، لا حميم قربه ولا قريب، ثمَّ منع الحقّ وتوازَرَ عليه أهل الرِّدة حتى قتلوه وضَيَّعوه وعرّضوه للسباع، ومنعوه شُربَ ماء الفرات الذي يشربه الكلاب، وضيّعوا حقَّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ووصيّته به وبأهل بيته، فأمسى مجفُوّاً في حفرته، صَريعاً بين قرابته، وشيعته بين أطباق التراب، قد أوحش قربه في الوحدة والبُعد عن جدِّه، والمنزل الذي لا يأتيه إلاّ من امتحن اللّه قلبه للإيمان وعرَّفه حقّنا .

ويُسمعونهم ما يكرهون .

5- من حديث قُدامة بن زائدة، عن أبيه قال: **(قال علي بن الحسين عليهما السلام: بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام أحياناً ؟ فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك، فقال لي: فلماذا تفعلُ ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا ؟ فقلت:**

فقلت له: جُعلتُ فداك قد كنتُ آتيه حتّى بُليتُ بالسلطان وفي حفظ أموالهم وأنا عندهم مشهورٌ فتركتُ للتقّيّة إتيانه وأنا أعرف ما في إتيانه من الخير. فقال: هل تدري ما فضل من أتاه وما له من جَزيل الخير ؟ فقلتُ: لا. فقال: أمّا الفضلُ فيباهيه ملائكةُ السماء، وأمّا ما له عندنا فالترحّم عليه كلّ صباح ومساء.

ولقد حدَّثني أبي أنه لم يَخلُ مكانه منذ قُتِل مِن مُصلٍّ يصلّي عليه من الملائكة، أو مِن الجنّ أو الإنس، أو الوحوش، وما مِن شيءٍ إلاّ وهو يغبط زائره ويتمسّح به ويرجو في النظر إليه الخير، لنظره إلى قبره عليه السلام، ثمّ قال: بلغني أنَّ قوماً يأتونه مِن نواحي الكوفة و اُناساً من غيرهم ونِساء يَنْدُبْنَه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارىءٍ يقرأ، وقاصٍّ يقصّ، ونادبٍ يندب، وقائل يقول المراثي.

فقلت: نَعَم جُعِلتُ فِداك قد شَهدتُ بعض ما تصف، فقال: الحمدُ للّهِ الّذي جعل في الناس مَن يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عَدوَّنا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يَهْذؤنهم ويقبّحون ما يصنعون).

واللّهِ ما أُريد بذلك إلاّ اللّه ورسوله، ولا أحفلُ[1] بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: واللّهِ إنّ ذلك لكذلك . فقلتُ: واللّه إنّ ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً فقال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر ...)[2].

---

(1) لا أحفلُ: لا أهتمُّ ولا أعبأُ مطلقاً .

(2) كامل الزيارات ب 88 ص 273 . والحديث مفصّل وفي غاية الأهمية فدونكَه مثلما جاء في مصدره المذكور:

(عن نوح بن دُرّاج قال: حدَّثني قُدامة بن زائِدة، عن أبيه: (قال عليٌّ بن الحسين عليهما السلام: بلغني يا زائِدةُ أنّكَ تزورُ قبرَ أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام أحياناً ؟ فقلت: إنّ ذلك لَكَما بَلَغَكَ، فقال لي: فلِماذا تفعل ذلكُ ولك مكانٌ عند سُلطانك الّذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذِكرِ فضائِلنا والواجب على هذه الأمة مِن حقِّنا ؟ فقلت: واللّه ما أُريد بذلك إلاّ اللّه ورسولّه، ولا أحْفِلُ بسخط من سخط، ولا يكبُرُ في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: واللّه إنَّ ذلك لكذلك ؟ فقلت: واللّه إنَّ ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً، فقال: أبشِر ثمَّ أبشِر ثمَّ أبشِر فَلأُخبرنّك بخبر كان عندي في النُّخبِ المخزونة، فإنّه لّما أصابنا بالطّفِّ ما أصابنا وقُتِل أبي عليه السلام وقُتِل من كان معه مِن وُلده وإخوته وسائر أهلِه وحُملت حُرمه ونساؤه على الأقتاب يرادّ بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صَرعى ولم يواروا فعظم ذلك في صدري وأشتدَّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج وتبيّنت ذلك منّي عَمّتي زينب الكبرى بنت عليّ عليهما السلام، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدِّي وأبي

وأخوتي ؟!! فقلت: وكيف لا أجزع وأهْلَعُ وقد أرى سَيّدي وأخوتي وعُمُومتي وولد عَمّي وأهلي مُصْرعين بِدِمائِهم، مُرَمّلينَ بالعَرى، مسلّبين، لا يُكفَّنون ولا يُوارون، ولا يُعرج عليهم أحدٌ، ولا يَقْرُبُهُم بَشرٌ، كأنّهم أهل بيتٍ من الدَّيْلَم والخَزَر ؟!! فقالت: لا يُجْزِعَنَّك ما ترى، فواللّه إنَّ ذلك لعهد مِن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى جدِّك وأبيك وعَمّك، ولقد أخذ اللّه ميثاق اُناسٍ مِن هذه الأمة لا تعرفهم فَراعنة هذه الأمّة وهم معروفون في أهل السّماوات أنَّهم يجمعون هذه الأعضاء المتَفرّقةَ فيُواروها وهذه الجُسومَ المُضَرَّجة، وينصبون لهذا الطّفّ عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رَسْمُه على كرور اللّيالي والأيّام، وليجتهدّن أئمة الكفر وأشياع الضّلالة في محْوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمرهُ إلاّ عُلوّاً، فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر ؟! فقالت: نَعَم، حدّثتْني اُمُّ أيمن أنَّ رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم زار منـــزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام فعملت له حريرة، وأتاه عليٌّ عليه السلام بطبق فيه تمرٌ، ثمَّ قالت اُمُّ أيمن: فأتيتهم بعُسٍّ فيه لبن وزُبْد، فأكل رَسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وعليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ عليهم السلام من تلك الحريرة، وشرب رَسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وشربوا من ذلك اللّبن، ثمَّ أكل وأكلوا من ذلك التّمر والزُّبْد، ثمَّ غَسَل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يده وعليّ يصبُّ عليه الماء، فلمّا فرغ من غسْل يده مسح وجهه، ثمَّ نظرَ إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه، ثمّ رمقَ بطرفه نحو السّماء مليّاً، ثمَّ أنه وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثمَّ خَرَّ ساجداً وهو يَنْشِجُ فأطال النَّشوج وعلا نَحيبه وجرت دموعه، ثمَّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعُهُ تقطر كأنّها صوب المطر، فحَزَنت فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام وحزنتُ معهم لما رأينا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وهبناه أن نسأله حتى

إذا طال ذلك قال له عليٌّ، وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول اللّه لا أبكى اللّه عَينيك فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك ؟! فقال: يا أخي سَررت بكم .. وقال مُزاحِم بن عبد الوارث في حديثه ههنا: فقال: يا حبيـــبي إنيّ سررتُ بكم سروراً ما سررت مثله قط وإني لأنظر إليكم وأحمد اللّه على نعمته عليَّ فيكم إذ هبط عليَّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنَّ اللّه تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسِك وعرف سرورك بأخيك وأبنتك وسبطيك فأكمل لك النِّعمة وهنَّأك العطيّة بأن جعلهم وذُرّيّاتهم ومحبِّيهم وشيعتهم مَعَكَ في الجنّة لا يفرّق بينك وبينهم يحبون كما تُحبى ويُعطون كما تُعطى حتى ترضى وفوق الرِّضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدُّنيا ومكاره تصيبهم بأيدي اُناس ينتحلون مِلّتك ويزعمون أنّهم من اُمّتك بُرَآء من اللّه ومنك خَبْطاً خَبْطاً وقتلاً قتلاً، شتى مَصارعُهم، نائية قبورهم، خيرة من اللّه لهم ولك فيهم، فاحمد اللّه عزّ وجلَّ على خيرته وارضَ بقضائه. فحمدتُ اللّهَ ورَضيت بقضائِه بما اختاره لكم، ثمَّ قال لي جبرئيل: يا محمّد إنَّ أخاك مُضطَهدٌ بعدك مغلوبٌ على أمّتك متعوبٌ من أعدائك، ثمَّ مقتولٌ بعدك يقتله أشرُّ الخلق والخليقة، وأشقى البريَّة، يكون نظيرَ عاقرِ النّاقة ببلد تكون إليه هِجرته وهو مَغرَسُ شيعة ولده، وفيه على كلِّ حال يكثر بلواهم ويعظم مُصابهم، وإنَّ سِبطك هذا ــ وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام ــ مقتولٌ في عِصابة من ذُرّيّتك وأهل بيتك وأخيار من اُمّتك بضفة الفرات بأرض يقال لها: كربلاء، مِن أجلها يكثر الكَرْب والبلاء على أعدائك وأعداء ذرِّيتك في اليوم الّذي لا ينقضي كَربُه، ولا تفنى حَسرتُه، وهي أطيب بقاع الأرض، وأعظمها حُرمةً، يُقتل فيها سِبطُك وأهلُه وأنّها مِن بَطحاء الجنّة، فإذا كان ذلك اليوم الّذي يُقتل فيه سِبطُك وأهله، وأحاطتْ به كتائبُ أهل الكفر واللَّعنة، تَزعْزَعَتِ الأرضُ من أقطارها ومادتِ الجبالُ وكثُرَ اضطرابها واصطَفَقَتِ البحار بأمواجها،

وماجتِ السّماوات بأهلها غضباً لك يا محمّد ولذُريَّتك، واستعظاماً لما يُنْتَهك من حُرمتك، ولشرّ ماتكافى به في ذريَّتك وعِترَتك، ولا يبقى شيءٌ من ذلك إلاّ استأذن اللّه عزَّ وجَلَّ في نُصرة أهلك المستضعفين المظلومينَ الّذينَ هم حُجَّة اللّه على خلقه بعدك، فيوحي اللّه إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهنَّ: أني أنا اللّه ؛ الملك القادرُ الّذي لا يفوتُه هاربٌ ولا يعجزه مُمتنعٌ وأنا أقدر فيه على الانتصار والإنتقام، وعزَّتي وجلالي لأُعذِّبنَّ مَن وتر رسولي وصَفيّي، وانتهكَ حُرمته وقتَلَ عترتَه ونبذَ عَهده وظَلَمَ أهل بَيته عذاباً لا أعذِّبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يَضِجّ كلُّ شيء في السّماوات والأرضين بلَعن مَن ظلمَ عترتك واستحلَّ حُرمتك، فإذا برزَتْ تلك العصابة إلى مضاجِعها تولّى اللّه عزَّ وجلَّ قبض أرواحها بيده وهبط إلى الأرض ملائكة من السّماء السّابعة معهم آنيةٌ من الياقوت والزُّمرُّد مملوءة من ماء الحياة وحُلَلٌ مِن حُلَل الجنّة وطيبٌ من طيب الجنّة، فغسّلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحُلَل وحنّطوها بذلك الطيب، وصلَّت الملائكة صَفاً صَفاً عليهم، ثمَّ يبعث اللّه قوماً من أُمتك لا يعرِفُهم الكُفّار لم يشركوا في تلك الدِّماء بقولٍ ولا فعلٍ ولانيّة، فيوارون أجسامهم ويقيمون رسْماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحقّ، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز وتحفّه ملائكة من كلِّ سماء مائة ألف ملك في كلِّ يوم وليلة، ويصلّون عليه ويطوفون عليه ويسبّحون اللّه عنده ويستغفرون اللّه لِمن زاره ويكتبون أسماءَ مَن يأتيه زائراً من أُمّتك مُتقرّباً إلى اللّه تعالى وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبُلدانهم، ويوسِمون في وجوههم بمِيْسَم نور عرش اللّهِ: هذا زائر قبر خير الشُهداء وأبن خيرِ الأنبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدلُّ عليهم ويعرفون به، وكأنّي بك يا محمّد بيني

وبين ميكائيل، وعليٌّ أمامنا ومعنا من ملائكة اللّهِ مالا يُحصى عددُهم، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتّى ينجيهم اللّه مِن هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم اللّه وعطاؤه لمن زارَ قبرَك يا محمّد أو قبرَ أخيكَ أو قبرَ سِبطيك لا يريد به غيرَ اللّهِ عزَّ وجلَّ، وسيجتهد اُناس ممّن حقّتْ عليهم اللعنة من اللّه والسَّخَط أن يعفوا رَسْم ذلك القبر ويمحوا أثره فلا يجعل اللّه تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً . ثمَّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: فهذا أبكاني وأحْزَنني، قالت زينب: فلمّا ضرب ابن مُلْجم – لعنه اللّه – أبي عليه السلام ورأيت عليه أثرَ الموت منه قلت له: يا أبه حدَّثتْني اُمُّ أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنيّة الحديث كما حدَّثَتْك اُمُّ أيمن، وكأنّي بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد أذِلاّء خاشعين تخافون أن يَتَخَطّفكم النّاس، فصبراً صَبراً، فوالّذي فَلَقَ الحبَّة وبرَءَ النَّسَمة ما للّه على الأرض يومئذٍ وليٌّ غيرُكم وغيرُ مُحبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم حين أخبرنا بهذا الخبر: أنَّ إبليس – لعنه اللّه – في ذلك اليوم يطيرُ فَرحاً فيَجول الأرض كلّها بشياطينه وعفاريته فيقول: يا معاشرَ الشياطين قد أدركنا مِن ذُرّيّة آدم الطّلبة وبلغنا في هَلاكهم الغاية وأورثناهم النّار إلاّ من اعتصمّ بهذه العصابة، **فاجعلوا شغلكم بتشكيك النّاس فيهم وحملهم على عَداوتهم، وإغرائهم بهم وأوليائهم حتّى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج**، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كَذوب، أنّه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالِح ولا يضرُّ مع محبّكم وموالاتكم ذَنبٌ غير الكبائر . قال زائدة: ثمَّ قال عليُّ بن الحسين عليهما السلام بعد أن حدَّثني بهذا الحديث: خذه إليك، أما لو ضربت في طلبه إباط الإبل حَولاً لكان قليلاً)).

أمّا وقد ذكرنا هذه الكلمات القدسية الشريفة فلابُدّ أن أقول: إنّ اللسان المطابقي بوجهٍ إجمالي لهذه الروايات والأحاديث التي ذُكرت هو زيارة سيد الشهداء عليه السلام، وما يلقاه أولياء أهل البيت عليهم السلام من إستهزاء وسخرية بسببها؛ لذلك فإني لا أريد الإستدلال بها أو الإستفادة منها في الذي نحن فيه من حاقِّ هذه الجهة بما هي، وإنما يكون تقرير الكلام وتقرير الإستدلال ووجه الإستفادة هكذا:

أولاً - إنّ الناظر في كلِّ الروايات والأحاديث التي وردت بخصوص القضية الحسينية ومن جميع الجهات يقطع قطعاً حقيقياً تامَّاً من أنّ النبي الأعظم والزهراء البتول والأئمة الأطهار صلوات اللّه عليهم جميعاً لا يرومون إلاّ إحياء الأمر الحسيني والفكر الحسيني والموقف الحسيني، وبعبارة أشمل القضية الحسينية بكلِّ أبعادها والزيارة أحد أهم مصاديق إحياء القضية الحسينية وإبقاء شعلتها متوهِّجة في النفوس والأرواح والعقول والقلوب، لذا فإنّ الموقف الشرعي من سخرية الآخرين وإستهزائهم بسببها هو عينه الموقف الشرعي من السخرية والإستهزاء بأي مصداق آخر من مصاديق إحياء الذكر الحسيني والقضية الحسينية . والتطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه السلام هو أحد هذه المصاديق التي تذكّرنا بالواقعة الدموية بما فيها من طهارة التضحية

والإباء ونجاسة الخبث والحقارة ولؤم النفاق والكفر .

وعلى هذا فلابُدّ أن يكون الموقف الشرعي من الإستهزاء والسخرية من التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام هو نفس الموقف الذي ذكرته هذه الروايات الشريفة وهو واضحٌ لا غبار عليه، ولا يخفى على ذي عينين .

ثانياً - لابدّ من الإلتفات إلى أنَّ الأحاديث المذكورة وإنْ ركّزت بشكل واضح على الزيارة الحسينية، إلاّ أنها لم تُغفل ذكر إحياء الأمر الحسيني والقضية الحسينية بنحو عام، أي بكلِّ مصاديق إحيائها . وإنّ في الرواية الخامسة التي تقدمّ ذكر بعضها في المتن وذكر تمامها في الحاشية ما يشهد على ذلك حيث يحدِّثُ إمامُنا السجاد عليه السلام صاحبه زائدة عن قول عمته العقيلة سلام اللّه عليها: (**فواللّهِ إنّ ذلك لعهدٌ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى جدِّك وأبيك وعمِّك، ولقد أخذ اللّه ميثاق اُناسٍ من هذه الأمّة ... ينصبون لهذا الطَفِّ عَلَماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يُدرَسُ أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنَّ أَئمةُ الكفرِ وأشياعِ الضلالةِ في**

محوه وتطميسه، فلا يزداد أثرُهُ إلاّ ظهوراً وأمرُه إلاّ عُلوّاً)[1].

زُبدةُ القول:

إنّ ما إستند إليه المانعون والقائلون بالتحريم للتطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام في كلِّ ما قالوه وأفتوا به هو هذه الأمور الثلاثة : (**كون التطبير بدعة، وأنه يلحق الضرر بالإنسان، ويكون سبباً لتوهين المذهب**)، ولا رابع لها .

وقد رأيتَ أيها المنصف أنها لا تثبت للمناقشة ؛ لِوَهنها وضعفها ومخالفتها لقول الحقّ، لذا فهي لا يمكن أن تكون أساساً أو مستنداً أو ملاكاً تاماً لصدور فتوىً شرعيةٍ صحيحة بأي وجهٍ من الوجوه، وعلى هذا فإنّ ما توهّمُوه دليلاً ما هو إلاّ جُزافٌ من القول لا قيمة له في سوق العلم والتحقيق !

﴿ قُلْ كُلٌّ يعملُ على شاكلتِهِ ، فربُّكم أعلمُ بمن هو أهدى سبيلاً ﴾[2].

---

(1) لابُدّ من إمعان النظر في هذه العبارة: (فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ عُلواً)، وبنحوٍ أخص: (وأمره إلاّ عُلواً) .

(2) 84 / الإسراء .

الفصلُ الثانيُ

كلماتٌ هزيلةٌ

كلماتٌ هزيلةٌ ...

عنوانٌ مناسب جداً لما يتفوّهُ به البعض ممّن يتصوّرون أنهم على حظٍّ من الثقافة والمعلومات، وهم في الحقيقة لا يُعدّون من أنصاف المثقّفين ولا من أرباعهم ولا حتى من أعشارهم في سوق الثقافة السليمة وميزانها العادل . وقد يلقلق بها البعض من دون دراية لأنها وُضِعت على ألسنتهم كي يشيعوها ويذيعوها لمقاصدٍ معينة . وعلى أيةِ حالٍ فإني لا أُريد ان أطيل الوقوف عند هذه الكلمات الواهية، والتي لم يضعها نفس المانعين للتطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام والقائلين بحرمته في نظر الإعتبار؛ لكونها أوهى وأوهن من بيت العنكبوت . إلاّ أنني سأستعرضها بنحوٍ سريع؛ لئلاّ يبقى شيءٌ ولو كان واهناً لم تتم الإشارة إليه؛ كي لا يقال بأنّ البحث لم يكن محيطاً بكلٍّ الجزئيات والمسائل التي تمتّ بصلةٍ إلى موضوعه قريبةً كانت أو بعيدة .

والكلماتُ الهزيلة هذه هي :

1- إنّ أكثرَ روّاد مواكب التطبير الحسيني والمشاركين فيها ممّن لا يلتزمون بأحكام الشريعة وواجباتها .

2- هناك من ينفث سمومه في آذان بعض السذّج والبسطاء من الناس:

إنّ السفارات الأجنبية هي التي تقف وراء مواكب التطبير وتمدُّها بالدعم المادي .

3- إنّ مواكب التطبير لم تكن في عهد الأئمة عليهم السلام وزمانهم.

أمّا الردُّ على هذه الكلمات فسيكون موجزاً :

أوّلاً - قولهم إنّ أكثر المشتركين في مواكب التطبير الحسيني ممَّن لا يلتزمون بأحكام الشريعة وواجباتها . فهذا لا يعني مع فرض صحته بالكامل ومع فرض إنطباقه على جميع المواكب أن نمنع التطبير وأن نقف منه موقف المعادي؛ لأنه إذا كانت القاعدة أنَّ كل عمل صحيح يمارسه جمعٌ كثيرٌ ممّن يسيئون التصرف في أعمال أخرى، لابدَّ من منعه والوقوف ضدّه، فهذا سينجرُّ على كلِّ ما هو جميل وصحيح في حياة الناس وبالتالي يؤدي بنا إلى الإفساد لا إلى الإصلاح .

فهل إن المصلّين - لا أقولُ كلّهم - بل أَكثرهم ممّن تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ؟

إذْ أنّ الواقع العملي في حياة المسلمين يشهد على أنّ أكثر المصلّين لا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، بل إنّ أكثر المصلّين لا يؤدّون صلاتهم بنحو صحيح وبحدودها الشرعية والفقهية كما أمرتْ بها السُنَّةُ الشريفة . فهل ذلك يعني أن نمنع الصلاة أو أن نقف منها موقف

الرافضين؟ وهكذا الصوم ... وهكذا الحج؛ إِذْ ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج ... إلى غير ذلك من الأعمال الحسنة الصحيحة الدينية منها أو الدنيوية .

ثانياً – ما ينفثه البعض هنا وهناك من أنّ السفارات الأجنبية هي التي تشجّع مواكب التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام، فهو من سخيف القول وسخافة القائل وخبثه وأسخفُ منه عقلاً من يصدِّق به. اذْ أنّ التأريخ يشهد والكلُّ يعلم أنّه منذ واقعة الطفّ الأليمة والى يومنا هذا ما وقف بوجه القضية الحسينية وما حارب ومنع الشعائر الحسينية إلاّ الطغاة والظلمة والجبابرة على مرِّ التأريخ . وكانت مواقفهم هذه خصوصاً في زمان تحكّم السفارات الأجنبية ببلادنا الإسلامية ــ بشكلٍ مباشر أو بشكلٍ غير مباشر ــ تحظى بدعمٍ وتأييدٍ من تلك السفارات ودولها، إذْ يبدأ إعلامُ دولِ تلكم السفارات يتحدّث عن تقدّمية أولئك الحكام ومواكبتهم للعصر الحديث ما إنْ يباشروا منع الشعائر الحسينية، وأول شيءٍ يباشرون به ــ والتجربة شاهدة على ذلك ــ منع مواكب التطبير الحسيني . ثم متى كانت مصالح السفارات الأجنبية في تركيز وتثبيت علاقة المجتمع الشيعي بالقضية الحسينية والتي من أحد أسبابها المهمة والرئيسية إقامة الشعائر الحسينية ونشرها في الوسط الإجتماعي

بقوةٍ وإهتمام ؟!

ولا أظنُّ أنّ الأمر يحتاج إلى أكثر من هذا البيان ؛ إذ الشمسُ لا تُحْجَبُ بغربال . ولا أملك جواباً للذين كانوا السبب في إِذاعة مثل هذه الأكاذيب الرخيصة إلاّ ما جاءَ في المثل العربي المعروف :

(رمتني بدائها وإنسلّت)

ثالثاً – ما يُقال من أنّ مواكب التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام لم تكن في عهد الأئمة عليهم السلام وزمانهم .

نعم مواكب التطبير الحسيني بهذه الهيئة المعروفة في زماننا هذا لم تكن موجودة في زمان الأئمة عليهم السلام، وكذلك سائر الشعائر الحسينية الجماهيرية من مواكب على إختلاف أنواعها، ومسيرات عزائية لم تكن هي الأُخرى موجودة أيضاً لسبب واضح ومعروف هو التقية الشديدة التي كان يعيشها الأئمة الأطهار عليهم السلام وأشياعهم .

أما الأصول النظرية لهذه المواكب من دون تحديد لهيئةٍ معيّنة لها، فهذا ما تظافرت به النصوص عن المعصومين عليهم السلام من بكاء، وإبكاء، وإظهار حزن وجزع على سيد الشهداء صلوات اللّه عليه، وتأكيدٍ على زيارته، وذكر مصيبته على كلِّ حالٍ حتى عند شربنا للماء مع لعن أعدائه وقتلته لعنة اللّه عليهم جميعاً، والبراءة منهم ومن أفعالهم،

إلى غير ذلك من الأمور التي لها مدخلية مباشرة أو غير مباشرة في إحياء القضية الحسينية وإنماء إتقادها وتوهُّجها في العقول والقلوب . مضافاً إلى كلّ ذلك ما صدر بنحو عملي من جزعٍ، وإدماءٍ عن أهل البيت عليهم السلام من البكاء دماً، وخمش الوجوه، إلى نطح الرأس وضربه وإدمائه، وغير ذلك مما سترى تفصيله في ما يأتي من هذا الكتاب الذي بين يديك . علماً أنّ أحاديث المعصومين عليهم السلام ووصاياهم لم تحدّد لنا طريقة التعبير عن الحزن على سيد الشهداء عليه السلام، و لم تجعل الأمر توقيفياً على نحو معّين أو كيفية مخصوصة، بل فتحت الباب بتأكيد معنى الجزع وإستحبابه وإستحباب إظهاره على أبي عبد اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه . وما التطبير إلاّ مصداق من مصاديق إظهار الجزع والحزن لأجل هذه المصيبةِ العُظمى والرزية الكبرى .

الفصلُ الثالثُ

التبّرعُ بالدمِ
هَلْ هُوَ بَديلٌ أَفضل ؟

يطرح البعض التبرع بالدم لأجل إعانة مريضٍ في إشفائه أو ربما في إنقاذ حياته بديلاً عن مواكب التطبير الحسيني . ونحن هنا لا نريد التشكيك في ما وراء هذا الكلام كما يذهب آخرون إلى ذلك وربما صدقوا في شكوكهم وربما لم يصدقوا، لا شأن لنا بذلك . ولا نريد الإعتراض عليهم للجدل بما هو جدل؛ فنقول لهم :

إن كنتم تقولون بأنّ التطبير الحسيني بدعة ولا دليل عليه كما تدّعون، فإنّ التبرع بالدم كذلك بدعة ولا دليل من الكتاب أو السنة ينصُّ عليه، وهذا الكلام واردٌ جداً في النقاش مع القطع بأنهم لا يملكون ردًّاً على ذلك. لكننا نريد مناقشة الموضوع للوصول إلى حقيقة الأمر التي يطلبها كل منصفٍ وعاقلٍ سويّ . لذا سأجمع شتات كلامي في عدة نقاطٍ مهمة لأجل إيضاح المطلب بأُسلوب مناسب :

(1)

الأساس الذي يتبنّاه الذين طرحوا التبرع بالدم بديلاً عن التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام هو :

أ – إنّ التطبير فيه إهدارٌ لكميةٍ لابأس بها من الدماء، والتبرع بها يكون

مانعاً لهذا الإهدار وسبباً للإستفادة منها في المستشفيات العامة .

ب – التبرّع بالدم قيمة حضارية .

فأقول : ما المراد من الإهدار أو الإسراف ؟ أهكذا يُلقى الكلامُ على عواهنه من دون تدبِّر وفهم وإدراك ؟!

الإهدار والإسراف الذي ترفضه شريعتنا وتحرّمه ويرفضه العقل قطعاً ويأباه، هو بذلُ مالَهُ قيمة من دون تحصيل أيّ فائدةٍ ومنفعةٍ مقصودة . ولا تنحصر المنافع والفوائد في الماديّات فحسب، اذ أنّ بابَ المنافع والمقاصد المعنوية أوسع بكثير من باب الماديات خصوصاً في حياة أهل الإيمان والتديّن بدين محمّد وآل محمّد صلوات اللّه عليه وعليهم أجمعين. فكيف يكون الدمُ النازفُ من رؤوس المعزّين والمحزونين لأجل غريب فاطمة وشهيدها المظلوم صلوات اللّه عليهما، يذهب هدراً من دون قيمةٍ معنوية تتناسب ومعنوية المقام الحسيني المحمود، ولا أظنُّ أنّ أحداً من شيعة أهل البيت عليهم السلام ممّن يديمون الإشتراك والحضور في مواكب التطبير الحسيني يُنكر الفائدة المعنوية التي يتحسَّسها في أعماق وجدانه . نعم ربما يأتي كاتب أو صحفي أو مصور أو مراسل أخبار أو مِن أولئك الذين يحسبون أنفسهم أوصياء على الناس فيجلسون بين جدران أربع، بعيدين عن واقع الحياة ووجدان أبناء مجتمعهم فيقولون

بأننا لا نرى لمواكب التطبير من فائدة، من دون أن يتذوّقوا ما تذوّقه الآخرون الممارسون والقريبون من الأمر ...

ذُقْ ما أذوقُ وبعـــدَهُ   قُلْ ما تشاءُ من الفُضولِ

ومن هنا فإنّ نزفَ مقدارٍ من الدماء لأجل ترسيخ قيمةٍ معنوية لا يُدرِكُ قدرها إلاّ اللّه تعالى وخاصةُ أوليائِهِ صلواتُ اللّه عليهم الذين منّ عليهم بعلمه وحكمته كيف يكون هدراً وإسرافاً ؟!

ومع كلٍّ ذلك فإننا إذا نظرنا بدقةٍ لوجدنا أن إحتمال الإهدارِ والإسرافِ في التبرع بالدم أكثر من إهدار الدم في مواكب التطبير الحسيني، لو أردنا أن ننكر القيمة المعنوية وآثارها النفسية السامية في نفوس أهل العزاء والمشاركين لهم .

وذلك :

أنّ التطبير يكونُ في يوم عاشوراء وفي وقتٍ محدودٍ ومعينٍ من ذلك اليوم بينما يبقى باب التبرع بالدماء مفتوحاً طيلة أيام السنة:

يــومٌ واحــد   مقــابل   ســنة كاملــة

فكم ستكون كميات الدم المتبرع بها ؟

فسيقول قائل : بأنّ هذه الدماء ينتفع منها في إشفاء مريض أو في إنقاذ حياته .

فأقول :

أ – كل دم يُتبرع به لبنوك الدم أو المستشفيات سيكون فاسداً وغير قابل للإستفادة منه بعد ثلاثة أشهر، هذا إذا كان المتبرع بدمه سليماً من الأمراض والأوبئة، وكان دمه صالحاً للخزن والتبريد، ولم يفسد خلال الأشهر الثلاثة التي يُخزن فيها. وهذا يعني أنّ مقادير كثيرة من الدماء ستذهب هدراً بعد ثلاثة أشهر، إن لم يكن قد تمّت الإستفادة منها في المدَّة المذكورة .

ب – قد يُتبرع بدماء كثيرة من فصيلة دمويّة معينة أكثر من القدر الذي يحتاج إليه، وبذلك ستذهب هدراً بعد مدة الخزن المعلومة، مضافاً الى ذلك ما يُبذل من أموال وجهود من قبل مؤسسات وبنوك الدم في أدائهم لعملهم هذا سواء في الحفظ والخزن، أو في الإتلاف بعد ذلك حين فساد تلك الدماء أو بسبب عدم الحاجة إليها؛ إذْ أنَّ عملية الإتلاف هي أيضاً بحاجةٍ الى جهدٍ ومتابعة.

ج – ربما يُستفاد من هذه الدماء في إشفاء اُناس يجرّون الويلات على مجتمعهم ويكونون سبباً للإجرام والإفساد ويحتمل العكس أيضاً . لكن مع وجود هذا الإحتمال السيء سيقوى إحتمال الإهدار والإسراف في

الدماء المتبرَّع بها بنحوٍ أكثر من إحتمال الإهدار في مواكب التطبير مع غضّ النظر عن الفائدة المعنوية .

وكلُّ هذا كلامٌ للجدلِ فقط وإلاّ فالحقيقة أنّ لا إهدار في التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام، إذ الفائدة المقصودة معنوية وبعيدة عن الماديات كلّ البعد . وكذلك بالنسبة للتبرع بالدم لإشفاء مريض أو ربما لإنقاذ حياته، فهو وإن كان هناك إهدارٌ بالفعل لكثرة ما يفسد من الدماءِ من دون إستعمال وفائدة، أو ما يحتمل من أن يكون إعانةً لمجرم أو طاغية يُهلك الحرث والنسل، لكن كل ذلك لا يُنظر إليه بسبب عظيم ما قد يتحقق من فائدة في إشفاء إنسان صالحٍ من مرضه، أو إنقاذ حياة آخر ممن يستحق الإنقاذ، أو يكون واجباً إنقاذه لا يجوز التخلُّف عنه، ولكن تبقى الأفضلية للتطبير الحسيني في مراسم العزاء العاشورائي جليةً، وهذا ما سيتضح لك بشكلٍ قوي فيما يأتي من السطور .

وأضيف إلى ذلك عجبي من هؤلاء الذين يتكلّمون عن الإهدار والإسراف في كمية محدودة من الدم وفي نفس الوقت يرون ما ينفق من أموال كثيرة ومن جهود إنسانية هائلة مع ما يرافق ذلك من إحتمال أضرار صحية قوية أثناء التدريب أو أثناء اللعب من المسؤولين

الحكوميين على إختلاف المستويات وصرف لأوقات طويلة، وبذل جهود إعلامية هائلة؛ لأجل أن يشترك فريق كرة القدم الوطني في دوري من الدوريات الرياضية حتى وإن لم يصل إلى الفوز، ويعدّون ذلك قيمة حضارية، إلى غير ذلك مما ينفق من الأموال الطائلة في كثيرٍ من المؤتمرات التي لا طائل تحتها، أو للتطبيل والتزمير الإعلامي لهذه الشخصية أو تلك مستحقة كانت أم لا، أو في المهرجانات السنوية أو المناسبات الوطنية أو لموت قائد أو لإحياء ذكراه وهكذا[1] .... فلا يعدّون ذلك سَرَفاً وإهداراً للأموال والأفكار وجهود العاملين والوقت إلى غير ذلك، وإنما يعتبرون النتيجة في الحاصل المعنوي والثمرة المعنوية الناتجة من كل ما تقدّم ... أمّا حينما يصل الكلام إلى التطبير حزناً وجزعاً على إمامنا المظلوم الشهيد صلوات اللّه عليه فيكون ويكون ...

---

[1] لست من المخالفين لما ينفق من الأموال حتى لو كان بنحوٍ كثير في المناسبات الدينية أو الوطنية التي تعتبر نقاط مضيئة في تاريخ الأمة ؛ فإنّ ذلك مما يقوّي الروابط الإجتماعية بين طبقات الأمة على إختلاف مستوياتها ويشدّها إلى تاريخها والى قادتها المخلصين، وينمي الشعور الديني والإنشداد إلى مناقبية أولياء اللّه صلوات اللّه عليهم والتعرف بنحوٍ أدق وأوسع على مناهجهم وتعاليمهم في الحياة .وهكذا يجري الأمر في كلِّ ما يعود بالنفع على أبناء الأمة الإسلامية ويحفظ مصالحهم ومنافعهم الدنيوية والأخروية .

هذا ما يتعلّق بالإهدار . أما القيمة الحضارية فما هي يا ترى ؟

قطعاً إنّ كلَّ عملٍ يُساهمُ في إستمرار وتكامل حياة الانسان بالنحو الأفضل في بعدها المادي أو في بعدها المعنوي أو في البعدين معاً يمكننا أن نصفه بالعمل الحضاري أو أن نعتبره ذا قيمةٍ حضارية . وهذا المعنى اذا كان ينطبق على التبرع بالدم وهو كذلك - إذ لاشك أنّ إشفاء مريض أو ربما إنقاذ حياته عمل حضاري وذو قيمةٍ حضاريةٍ ممتازةٍ - فهو ينطبق بنحوٍ أقوى ودرجةٍ أشد على التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ إذْ أنّ ثمرة هذا العمل هو تشديد العُلقة وتعميق الرابطة مع ريحانة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وهو مجمع الفضائل، ومركزُ الإباء والكرامة، ومحور الإخلاص والتوحيد، وقرآن اللّه الناطقُ في خلقه، أبو الأحرار، وركنُ الإيمان، ومعقلُ الإسلام.

وأيُّ ذبيحٍ داست الخيلُ صدرهُ ... وفرسانُها من ذكره تتجمَّـــدُ
اَلَمْ تكُ تدري أنّ روحَ محمـــدٍ ... كقرآنِهِ في سِـــبطِهِ متجسِّـــدُ
فلو علمتْ تلك الخيولُ كأهلِها ... بأنّ الذي تحت السنابكِ أحمدُ

لثارتْ على فرســانها وتمرّدتْ عليهم كما ثاروا بها وتمرّدوا[1]

ولا يخفى على أهل الإيمانِ أنّ حبَّ الحسين هو حبُّ آل محمّد صلوات اللّه عليه وعليهم أجمعين، والذين اُمرنا أن نخاطبَهم :

(السلام على الذين من والاهم فقد وَالى اللّه، ومن عاداهم فقد عادى اللّه، ومن عرفهم فقد عرف اللّه، ومن جَهِلَهُم فقد جَهِل اللّه، ومن إعتصم بهم فقد إعتصم باللّه، ومن تخلّى منهم فقد تخلّى من اللّه)[2].

فأية قيمة حضارية أسمى من ذلك، وأيُّ عملٍ حضاريٍّ أشرفُ من عمل يشدُّنا إلى اللّه سبحانه وتعالى، ويأخذُنا إلى فِناء الحقِّ والطهرِ محمّدٍ وآلِ محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

(2)

بعد مناقشة مسألة الإهدار والإسراف ومسألة القيمة الحضارية واتّضاح الأمر بشكلٍ جلي فإني سأجري بين يديك عزيزي القاريء مقارنة

---

(1) الأبيات من قصيدةٍ للسيد صالح ابن العلاّمة السيد مهدي بحر العلوم (ره) .

(2) كامل الزيارات ص 330 ب 104 ح 1 / الزيارة الجامعة المختصرة المروية عن الإمام الرضا عليه السلام .

سريعة بين التبرع بالدم والتطبير حزناً وجزعاً على أبي الأحرار وسيد الشهداء صلوات اللّه عليه :

أ – من جهة أصل شرعيتهما فهما متساويان ؛ إذْ أنّ التطبير مصداقٌ لإظهارالحزن والجزع على سيد شباب أهل الجنة عليه السلام . وكذلك فإنّ التبرّع بالدم مصداق لإعانة المحتاج وإغاثة المريض والجريح ومن هو بحاجةٍ إلى مساعدة . وكلا الأمرين ممّا أوصت بهما شريعتنا وأكّدت عليهما تعاليم أهل البيت عليهم السلام . فيكون عندنا نقطةٌ في كفّة كل واحد منهما .

ب – وأمّا من جهة فائدة الإثنين للناس فكلاهما مفيدٌ في بابه، اذْ التطبير الحسيني معنويٌّ المنفعة، والتبرّع بالدم ماديّ المنفعة. وبشهادة كلمات المعصومين عليهم السلام فإنّ المنفعة المعنوية مقدّمة على المنفعة المادية وعلى سبيل المثال ما جاء في الرواية المعتبرة الشريفة :

(عن الفضيل بن يسار قال : قلتُ لأبي جعفر عليه السلام : قول اللّه عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿ومن أحياها فكأنّما أحيى الناس جميعا﴾[1] قال: من حرقٍ أو غرق . قلت: فمن أخرجها من ضلالٍ إلى هدى ؟

(1) المائدة / 32 .

قال: ذاك تأويلها الأعظم)[1].

حيث عدَّ إمامنا الباقر عليه السلام إنقاذ الآخرين من حريقٍ أو من غرق من مصاديق إحياء النفس، لكن في جانبها المادي ومبيِّناً في نفس الوقت بأنَّ إخراج الإنسان من ضلالٍ إلى هدىً من مصاديق إحياء النفس في جانبها المعنوي بأنّه أعلى درجةً من سابقه حيث قال عليه السلام :

(**ذاك تأويلها الأعظم**) .

وهنا لابُدّ أن أُشير إلى مراتب إحياء النفس المعنوي بنحوٍ إجمالي :

أولاً – إخراجها من الضلال الكلي إلى الهدى الكلي، كإخراجها من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد .

ثانياً – إخراجها من ضلالٍ جزئي إلى هدىً جزئي، كإخراجها من إعتقادٍ فاسدٍ في جانب من جوانب الدين والإعتقاد إلى ما هو الحقّ والصواب والهدى في ذلك الأمر . وربما يظهر من الرواية التي بين أيدينا أنها تشير إلى هذا المعنى وذلك أنها إستعملت كلمتي الضلال والهدى في حال تنكيرٍ وتنوينٍ إذ قالت: (**من ضلالٍ إلى هدىً**).

ثالثاً – إخراجها من الدرجة المفضولة في عالم الهدى إلى الدرجة

---

[1] الوسائل ج11 ص 447 ب 19 ح 2، والكافي / الأصول، ومحاسن البرقي .

الفاضلة ومنها إلى الدرجة الأفضل وهكذا . فذلك أيضاً هو مرتبة من مراتب إحياء النفس وذلك بالتسابق والمسارعة في والى أعلى الدرجات والرتب.

ولاشكّ فإنّ الإزدياد في توثيق وتعميق الرابطة القلبية والمودَّة العاطفية والتصديق الوجداني والعقلي مع سيد الشهداء صلوات اللّه عليه، هو داخل في النوع الثالث من أنواع إحياء النفس؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى الترقي في درجات الإيمان ومراتب القرب من اللّه سبحانه وتعالى . ولاريب فإنّ لمواكب التطبير حزناً وجزعاً على أبي عبد اللّه عليه السلام تأثيراً في هذا الجانب، لا أقول على كلِّ الناس، بل على الذين يتذوَّقون هذا الأُسلوب وهذا النحو في التعامل والترابط الذي يتناسب مع مشاربهم النفسية والروحية في علاقتهم بإمامهم وسيدهم صلوات اللّه عليه، وللناس فيما يعشقون مذاهب . والنتيجة التي نخلص إليها أنّ التطبيرالحُسيني متفوِّقٌ على التبرع بالدم في هذا الجانب وبنحوٍ واضح جدّاً . فهذه نقطة أكيدة في كفّة التطبير الحسيني .

ج ــ والأمر الثالث في هذه المقارنة يتفوَّق التطبيرُ حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام فيه أيضاً على التبرع بالدم، وذلك بالنظر إلى القيمة الشرعية المرتبطة بالقضية الحسينية لكل منهما.

فالتطبير يوم عاشوراء يحصل فيه:

بكاءٌ + إبكاءٌ + إظهارٌ للحزن + إظهارٌ للجزع + إحياءٌ لذكر الحسين عليه السلام وثورته وتضحيته ومظلوميته.

بينما لا يمكن أن يصدق على التبرع بالدم في يوم عاشوراء سوى عنوان واحد هو إحياء ذكر الحسين عليه السلام، وهذا لا يتحقق إلاّ بإشاعة هذا الأمر وتوجيه الناس إليه وإقبالهم عليه بهذا العنوان وهو التبرع بالدم في يوم عاشوراء لإحياء ذكر الحسين عليه السلام وتركيز معاني التضحية والفضيلة الحسينية . وإلاّ فإنّ حقيقة الأمر ــ إلى هذا الوقت ــ أنّ التبرع بالدم ليس محسوباً ولا معدوداً في جملة الشعائر الحسينية، إذ لابُدَّ من السعي والعمل لمدةٍ مديدةٍ من الزمن كي يتفهَّمَ الناس بنحوٍ يماسّ قلوبهم فلسفة هذا الأمر، فيُقبل عليه من يُقبل متذوِّقاً هذا النحو من التعبير لإحياء ذكر أبي عبد اللّه عليه السلام، ويأباه من يأباه أيضاً، وذلك أنّ التبرع بالدم لا يُتصوَّرُ فيه البكاء والإبكاء حيث يخلو من الجانب العاطفي الجيّاش الذي يظهر في التطبير الحسيني في أعلى درجاته وأشدّ قوته، ولا يُتصور فيه أيضاً معنى إظهار الحزن وإظهار الجزع على الحسين عليه السلام، إذ أنّ هيئة التبرع بالدم وكيفيته لا تُوحي بأي نحوٍ من الأنحاء إلى هذه المعاني ولا تُشير إليها . ومن هنا فإنّ التطبير

الحسيني:

أ – مشتمِلٌ على خمسٍ من القُرُبات الحسينية والمستحبات الشرعية فيكون الإتيان به مشتملاً على درجةٍ أرقى من درجات الإمتثال ممّا عليه في التبرع بالدم، فهذه خمسُ نقاطٍ في كفّةِ التطبير الحسيني مقابل نقطة واحدة في كفّة التبرع بالدم:

التطبير الحسيني:	التبرع بالدم:
بكاءٌ	**إحياءٌ للذكر**
إبكاءٌ	
إظهارٌ للحزن	
إظهارٌ للجزع	
إحياءٌ للذكر	

ب – ما يترتب على ذلك من كثرة الثواب وعظيم الأجر لأجل التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك لكثرة ما فيه من أسباب موجبةٍ لعظيم الأجر وجزيل الثواب، بالمقايسة مع التبرع بالدم. وهذه نقطة أُخرى أيضاً تضاف الى كفة التطبير

الحسيني. فيتحقَّقُ عندنا المجموع النهائي في ميزان المفاضلة :
ثمان نقاط في كفة التطبير الحسيني مقابل نقطتين في كفّة التبرع بالدم.
فأينَ هذا من هذا ؟!

(3)

وبعد كلِّ هذا أقول :

1. جميلٌ أن تتشكّلَ مجاميع للتبرع بالدم يوم عاشوراء باسم الحسين عليه السلام لكن ليس بديلاً عن التطبير الحسيني. وإنما يتذوّقُ البعضُ هذا، وآخرون ذاك. فالبديلُ إمّا ان يكون أفضل أو مساوٍ على الأقل في ميزان المفاضلة، وقد رأيت النتيجة قبل قليل بأُمِّ عينك فلا وجه لطرح التبرع بالدم بديلاً عن التطبير الحسيني بأيّ نحوٍ من الأنحاء.

2. وجميلُ أيضاً ان يجمع روّاد مواكب التطبير الحسيني والمشاركون فيها بين التطبير في يوم عاشوراء والتبرع بالدم بإسم الحسين عليه السلام وفي وقتٍ آخر من السنة كيوم ولادة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه مثلاً؛ ليثبتوا للآخرين بأنّ عُشاق الحسين عليه السلام كما تنزف رؤوسهم دماً يوم عاشوراء حزناً وجزعاً ولوعةً وأسفاً وتجديداً لعهد الإمامة المقدّس، فإنّ أبدانهم وقلوبهم تجودُ

بدمائها حباً ورحمةً وشوقاً وعشقاً وولهاً وهياماً ومودةً لكل معاني الكرامة والسخاء في سبيل الحسين عليه السلام وبثٍّ معنى الحياة في كل صورها ومصاديقها من إشفاء مريض وإنقاذ عليلٍ الى إغاثة ملهوف وإعانة محتاج الى غير ذلك من المعاني الإنسانية السامية.

3. وجميلٌ وجميلٌ جداً أن تُؤسَّس مراكز بإسم الحسين عليه السلام لجمع الدم من المتبرعين من محبي سيد الشهداء صلوات الله عليه طيلة أيام السنة، وتُقدِّم ذلك إعانةً للمرضى والمحتاجين لدمٍ يبعث الحياة فيهم من جديد بإسم الحسين صلوات الله وسلامه عليه . كي نبرهن للجميع بأنّ دماء الحسين الزاكية صلوات الله عليه التي روّت شجرةَ الإسلام بعد أن يبسَ عودها، فعادَ مخضرّاً، وأورقت أوراقها، وأينعت ثمارُها؛ لهي قادرةٌ والى الأبد على أن تبعث الحياة المعنوية والمادية في أبناء المجتمع الإنساني.

فِداءٌ لمثواكَ من مَضــجع   تنــوَّرَ بالأبلــجِ الأروعِ

بأعبــقَ من نفحاتِ الجنانِ   رَوْحاً ومن مسكها أضوع

ومَخلصُ القولِ إنَّ التبرع بالدم مع إشتراط نية القربة فيه عملٌ حسن يُثابُ عليه فاعله على طول أيام السنة، لكنه لا يمكن أن يرقى الى فضيلة التطبير حزناً وجزعاً على أبي عبد الله عليه السلام في يوم عاشوراء ولا

يمكن أن يكون بديلاً عنه بأي وجهٍ من الوجوه إذا وَزنّا الأمور بميزانِ العدلِ والمنطق السليم. وقد بيّنتُ لك تفصيل الأمر فيما مضى من السطور، واللهُ وليُّ التوفيق.

الفصلُ الرابعُ

فلسفةُ
مواكبِ التطبيرِ حزناً وجزعاً
على الحســـين عليه السلام

إذا أردنا البحث في تحليل العوامل والدوافع التي تكون بمثابة الجذور النفسية لإختيار البعض من محبي أهل البيت عليهم السلام التطبير الحسيني أُسلوباً للتعبير عن حزنهم وجزعهم وموآساتهم لما جرى في كربلاء، فإننا سنجد الروافد الآتية هي التي بإمتزاجها ترفد هذه الحالة حيث تستجيب النفوس منقادةً للعاطفة الحسينية المقدّسة التي تعتلج في الوجدان وتتوهّجُ في القلوب وتتّقدُ في الضمائر:

أولاً – المودّة:

والتي أسَّ أساسها وأعلى بُنيانَها كتاب الله المجيد: ﴿**قلْ لا أسالكم عليه أجراً إلاّ المودّةَ في القُربى**﴾[1]؛ فكانت واسطةَ العقد ومحور الأمر في كمال الدين وتمام النعمة على أهل الإيمان الذين لا يثبتُ إيمانهم إلاّ بها ولا تسترشدُ عقولُهم وقلوبُهم إلاّ بالتقلُّبِ في فنائها حيث تنمو شجرة الدين والعقيدة باسقة مزدانة، وارفة الأفناء، ضاربة جذورها في أعماق الوجدان وطوايا القلوب؛ فتنشأُ العلقة الصادقةُ الخليةُ من شوائب الأطماع الدنيئة بين المحبين والأحبة. وكلّما إقترب المحبّون من أحبتهم

---

(1) 23 / الشورى .

يكتشفون جمالاً فوق جمالٍ وحسناً يُخفي وراءه ما هو أحسنُ منه، فتنفجرُ عيونُ المحبةِ والغرام همّارةً بالودِّ الطاهر والحبِّ الأمين الذي لا تعرفُ إليه خائنةُ الأعين من طريق.

ثانياً – عِظَمُ المصيبة:

حين يتسامى جمالُ الحبيب ويتجاوزُ كمالُهُ كلَّ الحدود التي إعتادتْ الأفكارُ والأنظارُ والحواسُّ أن تقف عندها ويُغطّي طوفانه النوري عالم الأرواح والأفئدة، ويجتذبُ إليه مُمَغنطاً كلَّ ما هو طاهرٌ في الحياة وإذا بالكسوف قد غاله؛ فقطَّعَ أحبالَ الوصال وإنقلبت الخضرةُ الزاهية والرياحين الفوّاحة دماً عبيطاً يغسلُ وجه السماء قبل رمال كربلاء ... (**السلامُ على الشيبِ الخضيبِ، السلامُ على الخدِّ التريب، السلام على البدنِ السليبِ، السلامُ على الثغرِ المقروعِ بالقضيبِ**)[1].

فيالَها من مصيبةٍ (**أبكت كلَّ عدوٍّ وصديق حتى جرت دموعُ الخيل على حوافرها**)[2]، أبا عبد الله .. (**واُقيمتْ لكَ المآتمُ في أعلى عِليّين، ولطمتْ عليك الحورُ العين، وبكتْ السماءُ وسكّانُها، والجنانُ**

---

(1) بحار الأنوار ج 101 ص 319 ب 24 ح 8 / زيارة الناحية المقدّسة.

(2) المنتخب الحسني للأدعية والزيارات ص 597 / زيارة العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها.

وخزّانُها، والهضابُ وأقطارُها، والبحارُ وحيتانُها، والجنانُ وولدانُها، والبيتُ والمقام، والمشعرُ الحرام، والحِلُّ والإحرام)[1]. فكيف لا تشتعل القلوبُ ناراً والمُهَجُ أسفاً والأكبادُ لوعةً، وكيف لا تنوءُ العقول بثقلها الفادح ووزرها الباهظ. لذا بقيت تقضُّ مضاجع المحبِّين مهما طالت السنون، وتكتوي الضمائرُ بلهيب أوارها بعد القرون والقرون.

ثالثاً – ثورةُ العواطفِ والجماهير :

أعظمُ قوّة بعد قوة المبادئ في نهضة أبي عبد الله صلوات الله عليه التي جرفت أمامها التيار الأُموي بكل طغيانه وإستهزائه بالحق أنها:

أ – حملت آلام الجماهير وآمالها، فكان خطابُها الجماهيري ولازال هو البلسم الشافي في عنوانه الوسيع: **(من كان مثلي لا يُبايع مثله).**

ب – ما حَشَدَه سبطُ الرسالةِ الأعظم وقرآنُها الناطق، وما جَيَّشَه من جيوشِ العواطف والمظلومية، وما رسمه بدمه ودماء أهل بيته وأنصاره من صور المأساة والمعاناة والآلام، حيث الدماء والدموع، وحيث العطش والصمود، والغربة والكبرياء[2]، والعزّة والجلال.

---

[1] بحار الأنوار ج 101 ب 24 ص 323 ح 8 / زيارة الناحية المقدّسة.

[2] أعني كبرياء الحق في وجه الباطل ؛ فللحقِّ كبرياء وعظمة وشموخ وعزّة.

لذا فقد خدّتْ الثورةُ الحسينية وحفرتْ أخاديد في أعماق ضمير الأمة الشيعية الموالية بسبب ما تحمله من روحٍ جماهيريةٍ صادقةٍ من جهة، وبسبب روافدها العاطفية الفيّاضة التي لا تنضب ولا تنقطع أبداً رغم تقادم الأيام والسنين من جهةٍ أُخرى. ومن هنا فإننا نجدُ في مواكب التطبير الحسيني في يوم عاشوراء الإستجابة الطبيعية والصدى الواقعي لثورة العواطف والجماهير، إذ تتجلّى في هذه المواكب وبنحوٍ واضح: روح المشاركة الجماهيرية الواسعة والصادقة في نفس الوقت مع الزخم العاطفي الهائل الذي لا نظير له كمّاً ونوعاً[1].

رابعاً – حشودٌ من النصوص :

عشراتٌ وعشراتٌ بل مئاتٌ من النصوص المتضافرة والتي جاوزت حدَّ التواتر المعنوي بمراتب كثيرة فاضتْ بها شفاه المعصومين صلوات الله عليهم تضخّ في الأمة ينابيع العاطفة الحسينية المقدّسة، منها ما يتحدّث عن صور المأساة المؤلمة وعن أشجان أهل البيت عليهم السلام المُفجِعَة

(1) هذه ميزةٌ أُخرى ونقطةُ فوزٍ تضاف الى كفة مواكب التطبير الحسيني في مقابل كفة البديل الذي يقترحه البعض وهو التبرع بالدم، وبذلك تكون النتيجة تسع نقاط في كفة مواكب التطبير الحسيني وتقابلها نقطتان فقط للتبرع بالدم في ميزان المفاضلة بين الإثنين والذي أجريناه في الفصل السابق.

المُوجعَة، ومنها ما يُبيِّنُ عظيم الآثار المعنوية في الملأ الأعلى وفي عالم التكوين، وحشدٌ كثيرٌ منها يُفصِّلُ الكلام في جليلِ الأجر وكريم الثواب للمتفانين والذائبين والمتفاعلين مع الأحزان الطويلة الضاربة بجذورها في أعماق الحياة.

فهذه الأربعة : (١ – المودةُ ، 2 – عِظمُ المصيبة ، 3 – ثورة العواطف والجماهير ، 4 – حشودٌ من النصوص)

هي العوامل والدوافع أو قل الروافد التي تشكّل الخلفية النظرية أو القاعدة النفسية الوجدانية أو قل بعبارة أُخرى الفلسفة التي تكمن في ما وراءَ تشكيل هذه المواكب الفوّارة بدمائها وعواطفها ودموعها وكلِّ كياناتها. سواءٌ تنبـّـه المشاركون في مواكب التطبير الحسيني لهذا المعنى بتفصيله المبيَّن، أم لم يتنبّهوا وإنّما تدفعهم لذلك الثقافة الحسينية التي أنشأها أهل البيت عليهم السلام في الأمة الشيعية، وتشكّل من ذلك العقل الحسيني الجمعي في واقع الشيعية التي تستجيب له بكل كيانها المادي والمعنوي.

الفصلُ الخامسُ

أدلّةُ
جوازِ التطبيرِ حُزناً وجزعاً
على الحسينِ عليه السلام
والقولِ بإِستحبابهِ

دليلُ الجوازِ والإباحةِ:

أدلُّ دليلٍ على جواز وإباحة التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام، ما يُصطلح عليه في علم إستنباط الأحكام الشرعية بـــ: (**أصالة البراءة**) والتي تعني الحكم بالجواز والإباحة والحلّية لكلِّ عملٍ أو شيءٍ لم يصلنا فيه نصٌّ أو دليل يدلُّ على حرمته ومنعه في الكتاب الشريف أو السنّة المباركة.

إذْ أنّ كلَّ فقيهٍ حين تواجهُهُ أيُّ مسألةٍ من مسائل الحياة الدينية أو الدنيوية، لابدَّ أن يكون للشرع المقدّس رأيٌّ فيها، فعليه أن يبحث أولاً في أدلّة الكتاب والسنّة بخصوص تلكم المسألة التي واجهته، فإن لم يجد لها ذكراً في النصوص والأدلة الشرعية، فعليه أن يتمسَّكَ بالأصول العملية كأصالة البراءةِ مثلاً التي ترتبط بما في أيدينا من أمر، والتي تعني بأنَّ كلَّ شيءٍ هو لك حلال حتى تثبت حرمته من الكتاب العزيز أو السنّة الشريفة. وهذا هو حكم العقل والشرع معاً وهو ما يصطلح عليه بالبراءة العقلية والشرعية[1].

(1) البراءة العقلية: هي حكم العقل بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يُعاقب أحداً من خلقه أو أُمة

ومن هنا فإنّ التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء صلوات اللّه عليه جائزٌ ومباحٌ من دون أي إشكال يذكر، وذلك للقطع الأكيد واليقين الواضح من أننا لا نملكُ أي نصٍّ أو دليل من الكتاب أو السنّة يُحرّمه أو يمنعه. ولقد خالَف الذين ذهبوا إلى حرمة التطبير حزناً وجزعاً على أبي عبد الله عليه السلام الطريقة الصحيحة في إستنباط الأحكام

من الأمم على فعل شيءٍ لم يكن قد بيّن لهم حرمته من طريق الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام والكتب السماوية. وهي ما يعبَّر عنها بقاعدة قبح العقاب بلا بيان.

وأما البراءة الشرعية: فهي حكم الشرع كتاباً وسنَّةً الموافق والمطابق للحكم العقلي الذي سبق ذكره قبل قليل. وقد وردت النصوص من الكتاب الكريم والسنّة المباركة في هذا المضمون وهذا المحتوى، وعلى سبيل المثال مما ورد في السنّة الشريفة:

1. عن الإمام الصادق عليه السلام: **(كلُّ شيءٍ مطلق حتى يرد فيه نهي)** / فقيهُ من لا يحضره الفقيه.

2. وعنه عليه السلام أيضاً: **(الأشياء مطلقة ما لم يرد عليك أمر ونهي، وكلُّ شيءٍ يكون فيه حلال وحرام، فهو لك حلال أبداً ما لم تعرف الحرام منه فتدعه)** / أمالي الشيخ الطوسي.

3. عن المعصوم عليه السلام: **(كل شيءٍ مطلق حتى يرد فيه نص)** / غوالي اللئالي ... إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة والتي يمكنك أن تراجعها في ما جمعه السيد عبد الله شبر (ره) في كتابه الأُصول الأصلية والقواعد الشرعية من ص212 إلى ص217 / طبعة قم ، منشورات مكتبة المفيد.

الشرعية والتي عليها إتفاق كلمة فقهاء الأمة وعلمائها، إذْ أفتوا بالتحريم من دون أي دليل شرعي صحيح، وكلّ ما أوردوه من الكلام في طريق ذلك لا يثبت للمناقشةِ الشرعية، وقد رأيتَ ضعف كلامهم ووهنه في الفصل الأول من هذا الكتاب.

أدلّةُ الإستحباب:

أولاً - **الجَزَعُ المُقَدَّسُ:**

1- **(عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كلُّ الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام).**

رواها الشيخ الطوسي (ره) في الأمالي / المجلس السادس ص161 ح20. والشيخ المجلسي (ره) في البحار ج44 ب34 ص280 ح9، وكذلك أيضاً في ج45 ب46 ص313 ح14.

2- **(عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنَّ البكاءَ والجَزَعَ مكروهٌ للعبد في كُلِّ ما جَزَعَ ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام فإنّه فيه مأجور).**

عن كامل الزيارات ب32 ص107 ح2 / طبعة طهران، وفي بحار الأنوار ج44 ب34 ص291 ح32.

3 - عن مِسْمَع بن عبد الملك البصري، قال: **(قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مِسْمَع أنت من أهل العراق؛ أما تأتي قبر الحسين**

عليه السلام ؟ ... قال لي: أفما تذكر ما صُنع به ؟ قلت: نعم، قال: فتجزع ؟ قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثرُ ذلك عليّ فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي. قال: رحم الله دمعتك أما إنّك من الذين يُعدُّون من أهل الجزع لنا...)[1].

---

(1) وإليك الحديث بتمامه كما رواه شيخنا إبن قولويه (ره):

(عن مِسْمَع بن عبد الملك كِرْدين البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مِسْمَع أنت من أهل العراق؛ أما تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ قلت: لا، أنا رجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوُّنا كثير من أهل القبائل من النُصّاب وغيرهم، ولستُ آمنهم أنْ يرفعوا حالي عند ولد سليمان فُيمثّلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صنع به ؟ قلت: نعم، قال: فتجزع ؟ قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما إنّك من الذين يُعَدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنّا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيّتهم ملك الموت بك، وما يلقّونك به من البشارة أفضل، ولَملك الموت أرقُّ عليك وأشدُّ رحمةً لك من الأُم الشفيقة على ولدها. قال: ثم إستعبر وإستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالرحمة وخصَّنا أهل البيت بالرحمة، يا مِسْمَع إنّ الأرض والسماءِ لتبكي منذُ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمةً لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رَقأتْ دُموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحدٌ رحمةً لنا ولما لقينا، إلاّ رحمه اللهُ قبل أن تخرج الدَّمعة من عينيه، فإذا سالت دُموعه على خدِّه، فلو أنّ قطرةً من دموعه سقطتْ في جهنَّم

لأطفئتْ حرَّها حتى لا يوجد لها حرٌّ، وإنّ الموجِع لنا قلبُه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وإنّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا وردَ عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مِسْمع من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، و لم يستقِ بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزَّبد وأصفى من الدمع وأذكى من العنبر يخرج من تسنيم، ويمرُّ بأنهار الجنان يجري على رضراض الدُّر والياقوت، فيه من القِدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قِدْحانه من الذهب والفضّة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كلَّ فائحة، حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تُركتُ ههنا لا أبغي بهذا بدلاً، ولا عنه تحويلاً، أما إنك يا إبن كردين ممن تُروى منه، وما من عينٍ بكتْ لنا إلاّ نعِمتْ بالنظر إلى الكوثر وسُيقتْ منه، وأنّ الشارب منه ممن أحبنا ليُعطى من اللذّةِ والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا. وإن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصاً من عوسج يحطم بها أعداءنا، فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين، فيقول: إنطلق إلى إمامك فلان فإسأله أن يشفع لك، فيقول: تبرّأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول: إرجع الى ورائك فقل للذي كنتَ تتولاه وتقدّمه على الخلق فإسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك، فإنّ خير الخلق من يشفع، فيقول: إني أهلك عطشاً، فيقول له: زادك الله ظمأً وزادك الله عطشاً. قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنوّ من الحوض و لم يقدر عليه غيرُه ؟

فقال: ورعٌ عن أشياءِ قبيحةٍ، وكفٌّ عن شتمنا أهل البيت إذا ذُكرنا، وترك أشياء إجترأ عليها غيره، وليس ذلك لحبنا ولا لهوىً منه لنا، ولكن ذلك لشدّة إجتهاده في عبادته وتَديُّنه، ولما قد شَغل نفسُهُ به عن ذكر الناس، فأمّا قلبُه فمنافق، ودينُه النَّصب وإتّباع أهلِ النَّصب وولاية الماضين وتقدّمه لهما على كلِّ أحد).

عن كامل الزيارات ب32 ص108 ح6، وفي بحار الأنوار ج44 ب34 ص289 ح31.

4 – عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في مراسم يوم عاشوراء: (... **ثم ليندب الحسين عليه السلام ويَبكيه، ويأمر مَن في داره بالبكاء عليه، ويُقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه**...)[1].

---

(1) هذا الحديث الشريف هو حديث زيارة عاشوراء المباركة، وإليك الحديث بتمامه:

(عن علقمة بن محمّد الحضرمي، ومحمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عُقْبة، عن مالك الجُهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرّم حتّى يظلّ عنده باكياً، لقى الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجّة، وألفي ألف عُمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كلّ حَجّة وعمرة وغزوة، كثواب من حجَّ وإعتمر مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين. قال: قلت: جُعلت فداك فما لِمن كان في بُعد البلاد وأقاصيها و لم يمكنه المسير في ذلك اليوم ؟ قال: إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأومأ إليه بالسلام، وإجتهد على قاتله بالدعاء، وصلّى بعده ركعتين يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويَبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت، وليعزِّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام، فأنا ضامنٌ لهم إذا فعلوا ذلك على الله عزّ وجلّ جميع هذا الثواب، فقلت: جُعلتُ فداك، وأنت الضامن لهم إذا فعلوا ذلك والزعيم به ؟ قال: أنا الضامن لهم ذلك والزعيم لمن فعل ذلك. قال: قلت: فكيف يعزّي بعضهم بعضاً ؟ قال:

عن كامل الزيارات ب71 ص193 ح7، وفي بحار الأنوار ج101 ب24 ص290 ح1.

يقولون: عظّمَ الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجَعَلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد، فإن إستطعتَ أن لا تنتشر يومك في حاجةٍ فإفعل، فإنه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة، وإن قُضيتْ لم يبارَك له فيها ولم يَرَ رُشداً، ولا تدَّخرنَّ لمنـــزلك شيئاً، فإنه من إدّخر لمنـــزله شيئاً في ذلك اليوم، لم يبارك له فيما يدَّخره ولا يُبارك في أهله، فمن فعل ذلك كُتب له ثواب ألف ألف حجّة، وألف ألف عُمرة، وألف ألف غزوة مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان له ثواب كلِّ نبيٍّ ورسولٍ وصدّيقٍ وشهيدٍ ماتَ أو قُتِل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة.

قال صالح بن عُقبةَ الجُهني وسيف بن عميرة: قال علقَمةُ بن محمّد الحضرَمي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: علِّمني دُعاءً أدعو به في ذلك اليوم إذا أنا زرتُه من قريب، ودعاءً أدعو به إذا لم أزُرهُ من قريب، وأومأتُ إليه من بُعدِ البلاد ومن سطح داري بالسلام، قال: فقال: يا علقمة إذا أنت صلّيت ركعتين بعد أن تومي إليه بالسلام وقلتَ عند الإيماء إليه ومن بعد الركعتين هذا القول، فإنّك إذا قلتَ ذلك فقد دعوتَ بما يدعو به مَن زاره من الملائكة، وكتب الله لك بها ألف ألف حسنة، ومحى عنك ألف ألف سيّئةٍ، ورفع لك مائة ألف ألف درجة، وكنت ممن إستشهد مع الحسين بن علي عليهما السلام حتى تشاركهم في درجاتهم، ولا تُعرف إلاّ في الشهداء الذين إستشهدوا معه، وكُتِب لك ثواب كلِّ نبيٍّ ورسولٍ، وزيارة من زار الحسين بن علي عليهما السلام مُنذُ يوم قُتل، تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليكَ يا إبن رسول الله، السلام عليكَ يا خِيَرَة الله وإبن خِيَرته ... إلى آخر الزيارة العاشورائية الشريفة).

5 – ما رواه قُدامة بن زائدة، عن أبيه، عن إمامنا السجاد عليه السلام حيث قال: (**فإنه لّما أصابنا بالطفّ ما أصابنا ... فكادت نفسي تخرج، وتبيَّنتْ ذلك مني عمتي زينبُ الكبرى بنتُ علي عليهما السلام فقالت : مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟!! فقلتُ : وكيف لا أجزعُ وأهلعُ وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمِّي وأهلي مصرَّعين بدمائهم، مرمَّلين بالعرى ...**)[1].

عن كامل الزيارات ب88 ص274.

وبعدَ أنْ أجَلْتَ النظر يا قارئي العزيز في هذه الأحاديث الكريمة فإنّه لابُدّ من القول:

1- إنّ هذه الروايات في غاية الإعتبار والقبول من جهة طُرُقها وأسانيدها ومصادرها عند علمائنا وفقهائنا المتقدمين منهم والمتأخرين. وعليها عملُ فقهاء ومراجع الأُمة إذْ نطقت بذلك أسفارُهم وزُبُرُهم. ودونك الأحياء منهم فَسَلْهُمْ، والأمر سهل.

2- متون هذه الروايات تدلّ بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ على أنّ الجزع

(1) مرّ ذكرُ هذا الحديث بتمامه وكماله في الفصل الأول فراجعه تغتنم.

على سيدِ الشهداء عليه السلام مستحبٌّ مؤكّدٌ، وفي غاية التأكيد وبنحوٍ أخص في يوم عاشوراء الأليم.

3- المرادُ من الجزع ـــ في لغة العرب ـــ هو نقيض الصبر، وهذا ما عليه كلّ المعاجم اللغوية. لذا فإنّ كُلَّ فعلٍ يفعله صاحب المصيبة يُعبّر به عن عدم تحمّله وعن تأثّره الشديد فهو مصداقٌ من مصاديق الجزع؛ إذ لا يوجد في لغة العرب تحديدٌ معيّنٌ لمعنى الجزع، وذلك أنّ حقيقته هو الحزن بلا حدود فكيف يكون له حدٌّ معينٌ وخاصٌ به. لكننا نعتمدُ على العرف الصحيح في تحديد أقلِّ مراتبه وهو العويل والضجيج والصراخ والبكاء الذي لا ينقطع مصحوباً بلطم الوجه وضرب الرأس ولدم الصدر إلى غير ذلك مما يقع في هذه المرتبة الأقل، وإنّما قلتُ الأقلّ لأنّ المرتبة الأعلى والأشد هي ما يكون فيها هلاكُ النفس، ويظهرُ هذا واضحاً في الحديث الخامس عن الإمام السجّاد عليه السلام حين يقول: (**فكادتْ نفسي تخرج وتبيَّنت ذلك مني عمتي زينبُ الكبرى بنتُ عليٍّ عليهما السلام فقالت : مالي أراك تجود بنفسك يا بقيةَ جدي وأبي وإخوتي ؟!! فقلتُ وكيف لا أجزعُ وأهلع** ...)، فإلتفت يا قارئي العزيز لما جاء في هذه الكلمات الشريفة:

كادتْ نفسي تخرج: بمعنى أوشكتُ على الموت أو الهلاك.

مالي أراكَ تجود بنفسك: بمعنى مالي أراك تريدُ أن تودِّع الحياة.

وهذا التعبير: (تجود بنفسك) في لغة العرب ولساهم يُقال لمن يكون في النـــزع الأخير لخروج روحه من بدنه، أي حينما يكون الموت وشيكاً وقريباً جداً من الإنسان. أمّا قوله عليه السلام: (وكيف لا أجزع وأهلع) فهو صريحٌ في إستحباب الجزع وأفضليته، بل الهلع الذي هو أفحش الجزع في لغة العرب[1]؛ إذ لو لم يكن محبوباً عند الله سبحانه وتعالى، لما فعله المعصوم عليه السلام. ومن هنا صرَّحَ الفقيهُ المحقق الشيخ خضر بن شلاّل العفكاوي (ره) في كتابه (أبواب الجنان)[2]، قائلاً: (**الذي يستفاد من مجموع النصوص ــ ومنها الأخبار الواردة في زيارة الحسين المظلوم ولو مع الخوف على النفس ــ يجوز اللطم والجزع على الحسين كيفما كان حتى لو علم بأنه يموت في نفس الوقت**).

4- يتّضحُ ممّا تقدّم أنّ الجزعَ على الحسين عليه السلام على مراتب

---

(1) مجمع البحرين ج4 ص411، مادة هَلَع.

(2) نقل الشيخ آقا بزرك الطهراني (ره) في كتابه المعروف (الذريعة): بأنَّ الشيخ خضر بن شلاّل (ره) رأى في المنام أميرَ المؤمنين علياً عليه السلام يعطيه قلماً، فلمّا إستيقظ وجد القلم في يده، فألّفَ به كتابه المذكور (أبواب الجنان).

كثيرة، أوّلها الصراخُ والعويلُ والنحيبُ والبكاءُ المتواصلُ مع لدم الصدر ولطم الوجه وضرب الرأس باليد أو غيرها، وآخرها ما قد يؤدّي إلى هلاك النفس والإضرار الشديد بها. وقطعاً فإنه يقعُ ما بين هاتين المرتبتين مراتب كثيرة تتسلسلُ بحسب شدَّتها. وما التطبير الحسيني إلاّ مرتبة من هذه المراتب التي تقع في الحدِّ الوسط من حيث الشدّة، بل ربَّما أقل من ذلك، وإلاّ فأين يقعُ جزع التطبير من جزع إمامنا السجّاد عليه السلام حين يقول: (فكادت نفسي تخرج) وهو قول يطابق الواقع مائة في المائة ليس فيه أدنى حدٍّ من المبالغة أو المواربة، إذ هو قول المعصوم عليه السلام وكلامه، وكلام الإمامِ إمامُ الكلام. ثم إنّ التطبير الحسيني لا ضرر فيه على الإنسان وحتى لو كان فيه ضرر فهو ضررٌ لا يُعتدُّ به أبداً، كما بيّنا ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب . ومن هنا فإنّ مرتبته لن تكون من المراتب الشديدة من الجزع على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

5- النتيجةُ التي نحصلُ عليها ـــ بعد تلكم المقدّمات ـــ أنَّ التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء صلوات الله عليه ما هو إلاّ مرتبة ومصداق من مصاديق الجزع على الحسين عليه السلام والذي حكمت الشريعة بإستحبابه المؤكّد وندبت إليه أهل الإيمان ؛ كي يقتدوا بأئمتهم

المعصومين عليهم السلام الذين جزعوا حتى كادت النفوس أن تخرج لإجل حسين العقيدة والمبادئ صلوات الله عليه.

6- ويؤيدُ هذه المعاني ما تفيض به كلمات دعاء الندبة الشريف الذي يرويه سيدُنا إبنُ طاووس (ره) في إقبال الأعمال، ومصباح الزائر، وجمال الأسبوع، والشيخ المجلسي (ره) في بحار الأنوار:

(فعلى الأطائبِ من أهلِ بيتِ محمّدٍ وعليٍّ صلّى الله عليهما وآلهما فليبكِ الباكون، وإيّاهم فليندب النادبون، ولمثلهم فلتُذرَفُ الدموعُ، وليصرخ الصارخون، ويَضجَّ الضاجّون، ويَعجَّ العاجّون، أين الحَسنُ ؟! أين الحسين ؟! أين أبناءُ الحسين ؟!).

إلى أن يقول الدعاء الشريف:

(أين الطالبُ بذحولِ الأنبياء وأبناء الأنبياء ؟! أين الطالبُ بدم المقتولِ بكربلاء ؟!).

ثم يقول مُناجياً نادباً:

(هل من معينٍ فأُطيلُ معه العويلَ والبكاءَ ؟! هل من جزوع فأُساعد جزعَه إذا خلا ؟! هل قذيتْ عينٌ فساعَدَتْها عيني على القذى ؟! هل إليك يا إبن أحمدَ سبيلٌ فتُلقى ؟!).

فانظر أيها القارئ العزيز لقول الدعاء الشريف:

1- **هل من جزوع** ... : والجزوع بحسب موازين الصرف صيغة مبالغة أي جازعٌ وجازع و.... .

2- **هل قَذِيتْ عينٌ** ... : إشارة واضحة لما يصيب العين من ضررٍ أو مرض أو ألمٍ شديدٍ بسبب البكاء والنوح جزعاً على مصاب الحسين عليه السلام، وشوقاً وحسرةً على فراق الطالب بثأره صلوات الله وسلامه عليه.

والحرُّ تكفيه الإشارة.

ثانياً – الإبكاء :

1- (**عن عليٍّ بنِ الحسن بن فضّال، عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام: من تذكَّرَ مُصابنا وبكى لما أُرتُكبَ منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى، لم تبكِ عينُه يوم تبكي العيون** ...).

عن بحار الأنوار ج44 ب34 ص278 ح1 منقولاً عن أمالي الشيخ الصدوق / المجلس 17 الرقم4.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ج1 ص294 بنفس إسناد الحديث المتقدم عنه صلوات الله عليه: (**من تذكّر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينُه يوم تبكي العيون**، ...)[1].

2- عن السيد إبن طاووس (ره) : (**روي عن آل الرسول عليهم السلام أنّهم قالوا: من بكى وأبكى فينا مائة فله الجنَّة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنَّة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الحنَّة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الحنَّة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الحنَّة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الحنَّة، ومن تباكى فله الجنَّة**).

---

(1) بحار الأنوار ج 44 ب 34 ص 278 ح 2.

عن بحار الأنوار ج44 ب34 ص288 منقولاً عن اللهوف في قتلى الطفوف للسيد إبن طاووس (ره).

3- **(عن أبي هارونَ المكفوف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام ؟ قال: فأنشدته فبكى، فقال: أنشدني كما تُنشِدون ـــ يعني بالرِّقّةِ ـــ قال: فأنشدته:**

امْرُرْ عَلى جَدَثِ الحسينِ فَقُلْ لأعْظُمِـــهِ الزَّكيَّة

قال: فبكى، ثمَّ قال: زدْني، قال: فأنشدته القصيدة الاُخرى، قال: فبكى، وسمعتُ البكاءَ من خلف السَّتر، قال: فلمّا فرغتُ قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى عشراً كُتبتْ لهم الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسةً كتبتْ لهم الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبتْ لهما الجنَّة، ومن ذُكِرَ الحسينُ عليه السلام عندَه فخرجَ من عينه من الدموع مقدار جناح ذُباب، كان ثوابه على اللهِ، ولم يرضَ له بدون الجنَّة) .

عن كامل الزيارات ب33 ص111 ح1، وثواب الأعمال ص47، والبحار ج44 ب34 ص288 ح28.

4- (عن أبي عمارة المُنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدتُه فبكى، ثمَّ أنشدتُه فبكى، ثمَّ أنشدتُه فبكى، قال: فوالله ما زلتُ أُنشِدُه ويبكي حتى سمعتُ البكاءَ من الدار، فقال لي: يا أبا عمارة من أَنشدَ في الحسينِ شعراً فأبكى خمسين فله الجنَّة، ومن أنشد في الحسينِ شعراً فأبكى أربعين فله الجنَّة، ومن أنشدَ في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرةً فله الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنَّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنَّة).

عن كامل الزيارات ب33 ص112 ح2، وأمالي الصدوق/ المجلس29 الرقم6، وثواب الأعمال ص47، والبحار ج44 ب34 ص282 ح15.

5- (عن صالح بن عُقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من أنشد في الحسين عليه السلام بيتَ شعرٍ فبكى وأبكى عشرةً فله ولهم الجنَّة، من أنشد في الحسين عليه السلام بيتاً فبكى وأبكى تسعةً فله

ولهم الجنَّة، فلم يزل حتى قال: من أنشد في الحسين بيتاً فبكى، وأظنّه قال: أو تباكى فله الجنَّة).

عن كامل الزيارات ب33 ص113 ح4، ومثله بسندٍ آخر ح7 من نفس الباب والصفحة، وثواب الأعمال ص48، والبحار ج44 ب34 ص289 ح29.

6- **(عن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال: لا؛ كما تُنشِدون وكما ترثيه عند قبره، قال: فأنشدتُه:**

امْرُرْ عَلى جَدَثِ الحسينِ فَقُلْ لأعْظُمِـــهِ الزَّكيَّة

قال: فلمّا بكى أمسكتُ أنا، فقال: مُرَّ، فمررتُ، قال: ثمَّ قال: زدني .. زدني، قال: فأنشدتُه:

يا مريمُ قُومي فإنْدُبي مولاكِ وعلى الحُسين فإسْعِدي ببُكاكِ

قال: فبكى وتهايج النساء !! قال: فلمّا أن سكتنَ قال لي: يا أبا هارون مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرةً فله الجنَّة، ثمّ جعل يُنقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد، فقال: من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنَّة، ثمَّ قال: من ذكره فبكى فله الجنَّة).

عن كامل الزيارات ب33 ص113 ح5، وبحار الأنوار ج44 ب34 ص287 ح25.

7- (**عن زيد الشحّام، قال: كنّا عند أبي عبد الله ونحن جماعة من الكوفيّين فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبد الله عليه السلام فقرّبه وأدناه، ثم قال: يا جعفر، قال: لبّيك ! جعلني الله فداك. قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتُجيده. فقال له: نعم، جعلني الله فداك. قال: قُل ! فأنشده صلّى الله عليه فبكى ومن حوله، حتى صارت الدموع على وجههِ ولحيتِهِ. ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدتْ ملائكةُ اللهِ المقرّبون ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته[1] الجنَّة بأسرها، وغفر اللهُ لكَ. فقال: يا جعفر ألا أُزيدك ؟ قال: نعم يا سيدي. قال: ما من أحدٍ قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلاّ أوجب اللهُ له الجنَّة وغفر له**).

عن رجال الكشي ص187، وبحار الأنوار ج44 ب34 ص282 ح16، ووسائل الشيعة ج10 ص464 ب104/ المزار ح1.

---

(1) في الوسائل بدلاً من (ساعته) : (ساعتك) .

وبعد ذكر هذه الأحاديث والروايات، أقول:

1- الأخبار المتقدِّمة تلَقّاها علماؤنا بالقبول والإعتماد والعمل بها والفُتيا على أساسها؛ فلا حاجة للخوض في تفاصيل أسانيدها؛ لوضوح كونها على درجةٍ عاليةٍ من الإعتبار الشرعي والعملي.

2- مضمون هذه الأخبار ومحتواها: الإستحبابُ المؤكَّدُ للبُكاء والإبكاء على سيد الشهداء صلوات الله عليه وما يترتب عليهما من عظيم أجرٍ عند الله سبحانه وتعالى. أمّا الذي نَخُصّه بالذكر والبحث هُنا من بينهما فهو الإبكاء، وذلك أنّ البحث منعقدٌ لأجله منذ البداية.

والذي نراه واضحاً في هذه الروايات الشريفة أنّ الأولى والثانية منها تحدّثتْ عن الإبكاء بنحوٍ عام من دون ذكر أيِّ مصداقٍ من مصاديق الإبكاء، فجاء لسانُها: (**بكى وأبكى**) من دون ذكر أيٍّ أُسلوب من أساليب الإبكاء.

وأما ما تبقّى منها فقد جاء مشتملاً على ذكر مصداقٍ من أهم مصاديق الإبكاء خصوصاً في زمان الأئمة عليهم السلام[1] وهو إنشادُ الشعر

(1) وذلك لشدّة التقية في زمانهم عليهم السلام، وعدم وجود مجال لإبراز أساليب أُخرى من أساليب الإبكاء على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

لأجل الإبكاء على الحسين المظلوم صلوات الله وسلامه عليه. وإلاّ فمن المعلوم أنّ الإبكاء ليس له من أُسلوب معيّن فقد يكون من طريق: ذكر المصيبة نثراً بلحنٍ حزين، أو من دون لحن، أو بإنشاد الشعر إلقاءاً، أو بصوت النعي المعروف، أو بقراءة نصوص الزيارات دَرْجاً، أو بصوتٍ شجيّ، أو بتأليف كتابٍ يستدرُّ الدمعةَ من قارئه ومطالعه، أو بإنتاج فيلم سينمائي أو تلفزيوني روائياً كان أو وثائقيّاً يَعْرُض الواقعة بكل آلامها وأشجانها، أو بإخراج مسرحيةٍ أو تمثيليةٍ تُهيِّجُ الدمعَ والعَبَرات، أو برسم لوحةٍ فنيةٍ تُعبِّرُ عن جراحات ضمائر الأحرار وآلامها لِما لقي سبطُ النبيِّ الأعظم صلّى الله عليه وآله، أو بإقامة المسيرات العزائية والمواكب الحسينية من مواكب اللطم وضرب السلاسل والتطبير الحسيني إلى غير ذلك من فنون العزاء الحسيني وأشكاله والتي هي من أهم أسباب الإبكاء وطرقه. علماً أن أسباب الإبكاء وأساليبه ليست منحصرةً في ما ذُكر، وإنّما يبقى الباب مفتوحاً في هذا المجال لكل أشكال التعبير وتهييج الأحزان لأجل مصابِ سيدِ شباب أهل الجنَّة صلوات الله عليه.

3- يظهرُ بوضوحٍ جليٍّ مما تقدّم الإستحباب المؤكّد للإبكاء على سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام، ويظهرُ أيضاً أنّ مواكب التطبير

الحسيني من أهمِّ أسباب الإبكاء وتهييج العبرات؛ لذا فإنّ هذا الإستحباب سيسري حتماً على هذه الشعيرة الحسينية المُبكية كما يسري على غيرها من الشعائر الحسينية الأخرى المُبكية، وكذلك الأساليب التعبيرية المختلفة المبكية أيضاً والتي ذكرنا قبل قليلٍ أمثلةً منها في قائمةٍ لذكر أنواعٍ مختلفةٍ من أساليب الإبكاء على الحسين عليه السلام.

ولا يخفى فإنّ القولَ: بأنّ مواكب التطبير الحسيني من أهم أسباب الإبكاء هو ما يشهدُ به الواقع على الأرض ويقرُّ به أربابُ العزاء الحسيني والجماهير الغفيرة المشاركة في الحضور وأهلُ البيت أدرى بالذي فيه؛ حيث يتجمّعُ أهل التطبير عند فجر عاشوراء في تكاياهم وحسينياهم، وهم يرتدون أكفاهم البيضاء بعد تأدية صلاة الصبح، تُقرأ زيارة عاشوراء، تتبعها قراءة شجية جداً لقصّةِ مذبح الحسين ومقتله عليه السلام بنحو مختصر، مع مقاطع من زيارة الناحية المقدّسة، ثم ترتفع الصيحات والصرخات: **يا حسين ... يا حسين** ، والبكاء والنحيب يهزُّ الأرجاء، وتُقرعُ الطبول، وتُمتشق السيوفُ، وبصوتٍ واحدٍ تتدافع الدموع متدفّقةً كأنّها عينٌ جارية:

يا فاطمةُ قومي إلى الطُفوفِ هذا حسينٌ طُعمةُ السيوفِ

فتجري الدماءُ نازفةً تُذكِّرُ بأقدس دمٍ سُفِكَ على وجه الأرض، مشفوعةً بالدموع والعبرات، والآهات والحسرات، فكم مِنْ باكٍ أو باكية، حيث لا ترى إلاّ أجواءاً مشحونةً بالعاطفة الحسينية الجيّاشة، ولا تسمعُ إلاّ نُدبةً وصراخاً حسينياً يهزُّ سمعَ الملكوت ... فكأنّها الغاضريات وصوتَ حسين يجرفُ الدهورَ ويمزّقُ أستارَ القرونِ !!!

فيا أيُّها الوترُ في الخالدين فذّاً إلى الآنَ لم يُشــــفعِ
ويا عِظـــةَ الطامحينَ العظامِ لِلاهينَ عن غدِهم قُنَّعِ

أبا عبد الله صلّى الله عليك ... فما قدر الدموع ؟! وما قدر الدماء ؟! في محراب أحزانك، (**أشهدُ أنّ دمَك سكن في الخُلد، وإقشعرّتْ له أظلَّةُ العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكتْ له السماواتُ السبع، والأرضون السبع، وما فيهنَّ، وما بينهنّ، ومن يتقلَّبُ في الجنَّة والنار من خلق ربّنا، وما يُرى، وما لا يُرى**)[1].

ولا أملكُ إلاّ أن أقول: بأنّ مواكب التطبير الحسيني هي دماءٌ نازفةٌ،

(1) بحار الأنوار ج101 ب18 ص152 ح3 / نقلاً عن كامل الزيارات، والعبائر هذه مقتطفة من إحدى الزيارات المطلقة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام.

ودموعٌ مسفوحةٌ، وقلوبٌ واعيةٌ تطوف في محراب عشقها في الفناء الحسيني الأرحب، وتستضيءُ بنورِ مصباح الهدى؛ كي تفوزَ بسفينة النجاة الآمنة. فطوبى لكم أحباب الحسين عليه السلام، وطوبى لكم أيها النازفون دماً ودمعاً في محراب عشقه ومودَّته.

ثالثاً – إحياءُ أمرِ الإمامِ الحُسينِ عليه السلام:

1- (عن الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لفضيل: تجلسون وتتحدّثون ؟ قال: نعم، جعلت فداك. قال: إنّ تلك المجالس أُحبُّها فأحيوا أمرنا يا فضيل ! فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل مَنْ ذَكرَنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثلُ جناح الذُباب، غفر الله له ذَنوبه ولو كانت أكثر من زبَد البحر).

عن بحار الأنوار ج44 ب34 ص282 ح14، نقلاً عن قرب الإسناد ص26.

2- (عن علي بن الحسين بن فضّال، عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام: من تذكّر مُصابنا وبكى لما أُرتُكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكَّرَ بمصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينُه يوم تبكي العيون، ومن جلسَ مجلساً يُحيى فيه أمرُنا لم يمتْ قلبُه يوم تموت القلوب)[1].

(1) مرَّ قبل قليل في روايات الإبكاء ذكرُ القسمِ الأول من هذه الرواية مع مصادرها، وهي كاملة ولا حاجة لتكرار ذكر مصادرها مرةً أخرى.

وهُنا أُمور لابُدّ من ذكرها والإشارة إليها:

1- إحياءُ أمر أهل البيت عليهم السلام عموماً، وإحياءُ الأمر الحسيني والقضية الحسينية خصوصاً، واجبٌ شرعيٌّ أكيدٌ يوجبه العقلُ[1] قبل الشرع وتؤكِّده الأدلّة الشرعية بشكلٍ واضحٍ وقطعي من نصوصٍ دينيّة وسيرة متشرّعة إلى غير ذلك من المرتكزات العقلية والشرعية. وهذه مسألةٌ مفروغ منها في دنيا الفقه والأحكام، ومن البديهيات التي لا يختلفُ عليها إثنانٌ من فقهائنا بأيِّ وجهٍ من الوجوه. نعم يمكن القول بأنّ إحياء الأمر على مرتبتين، منه ما هو واجبٌ لا يجوز تركه بأيّ حالٍ من الأحوال، ومنه ما هو مندوبٌ ومستحبٌّ إتيانه بنحوٍ أكيد يترتب عليه عظيم الأجر والثواب.

2- ليكن معلوماً انّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام الآمرة وجوباً أو إستحباباً بإحياءِ أمرهم كثيرةٌ جداً. وإني لم أتناولها بالذكر لوضوح أمرها عند أهل الشرع والدين. وما ذكرتُ هذين الحديثين الشريفين إلاّ لأجل التبرُّك بهما أولاً. وثانياً لظهورهما في إحياء الأمر المستحب الذي

---

(1) بعد ثبوت عصمة أهل البيت عليهم السلام، ووجوب طاعتهم وولايتهم، وأحقية دينهم؛ فإنّ العقل يحكم بوجوب إحياء أمرهم؛ لأنّه إحياءٌ لكلِّ معاني الخير والفضيلة والإحسان والكرامة والكمال بكلِّ معناه.

يدور الحديث عنه في هذا المقام.

3- الروايتان المذكورتان تدلاّن على أهمية إحياء أمرهم عليهم السلام وتصرّحان بإستحبابه المؤكّد. مع إشتمالهما على ذكرِ بعضٍ من الأمور التي هي من الأسباب المهمَّة في إحياء الأمر من قبيل إقامةِ مجالس الذكر والعزاء، وتَذكُّر مصائب أهل البيت عليهم السلام وذكرها، والبكاءِ والإبكاءِ في سبيل ذلك، وهكذا كُلُّ أمرٍ يوصلنا إلى نفس هذا المطلوب.

4- من كُلِّ ما تقدَّمَ يتجلّى بوضوحٍ أنّ التطبيرَ حزناً وجزعاً على سيد الشهداء صلوات الله عليه، مصداقٌ واضحٌ من مصاديق إحياء الأمر من جهةِ كونه سبباً قوياً من أسباب الإبكاء على الحسين عليه السلام، وقد مرَّ بيان ذلك فضلاً عمّا أشارت إليه الروايتان اللتان بين أيدينا من أنَّ الإبكاء مصداقٌ من مصاديق إحياء الأمر أيضاً، هذا أولاً. وثانياً لما في التطبير الحسيني من بُعد جماهيري واسع؛ حيث الجموع الغفيرة المشاركة في هذا الموكب والجموع المتفاعلة والمتأثرة بها. ولا شكّ فإنَّ أهمَّ أمرٍ في إحياء الأمر العقائدي هو جماهيرية العمل وإنتشار تأثيره خصوصاً إذا كان ذا ميزةٍ عاطفيةٍ ثَرّةٍ كالتطبير الحسيني. ومن كل ذلك يبدو واضحاً سريانُ حكم الإستحباب على التطبير حزناً وجزعاً على

سيد الشهداء صلوات الله عليه، لكونه مصداقاً من أوضح مصاديق إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام عموماً، وإحياء أمر الحسين صلوات الله عليه بنحوٍ خاص.

توضيحان:

1- ربّما يقول قائل: إنّ إظهار الجزع والإبكاء من جملة مصاديق إحياء الأمر. فلأيّ سببٍ جعلنا كلَّ واحدٍ من هذه الثلاثة موضوعاً ودليلاً قائماً برأسه ؟

وجواب ذلك: إنّ الناظرَ والمتفحِّصَ بدقَّةٍ في كلماتِ أهل بيتِ العصمةِ صلوات الله عليهم، يجدُ بوضوحٍ أنّ الجزعَ مطلوبٌ بنفسه بما هو، ومن جملة آثاره أنه يكون سبباً في إحياء الأمر. وكذلك الإبكاء فهو مطلوب بنفسه بما هو أيضاً لما فيه، وفي الجزع من منافعٍ معنويةٍ وتربويةٍ تصقل روح الإنسان، وتذكّي وجدانه، وتغسل عواطفه من كلِّ شائبةٍ تلحق بها، راسمةً لها جادّة صوابها. فكل واحدٍ منهما مطلوب بنفسه بما هوَ هوَ، وفي بعض جهات كلِّ واحدٍ منهما سببٌ لإحياء الأمر؛ ومن هنا جعلنا كلَّ واحدٍ من هذه الثلاثة: الجزع المقدّس، والإبكاء، وإحياء الأمر الحسيني موضوعاً ودليلاً قائماً برأسه.

2- حكم الإستحباب المؤكّد يسري بنحو الأصالة على إظهار الجزع

على الحسين عليه السلام، وعلى الإبكاء عليه، وعلى إحياء أمره صلوات الله عليه؛ وذلك لورود النصوص الشريفة عن المعصومين عليهم السلام بخصوص كل واحد من هذه الثلاثة. أما سريان هذا الإستحباب على التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام فهو من باب التفرّع والمصداقية، إذ أنّ التطبير الحسيني مصداقٌ واضحٌ لإظهار الجزع، والإبكاء، وإحياء الأمر؛ ومن هنا كان جريان حكم الإستحباب عليه. لا من باب ورود نصٍّ خاصٍّ يأمر بهذا النحو المعين من العزاء. وإنَّما كان ذلك عملاً موافقاً لما رواه البزنطي في جامعه عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (**انّما علينا أن نُلقي إليكم الأُصول وعليكم أن تُفرِّعوا**)[1]، وما رواه أيضاً في جامعه عن الإمام الرضا عليه السلام: (**علينا إلقاء الأُصول إليكم، وعليكم التفريع**)[2].

(1) الأُصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر (ره) ص239، نقلاً عن السرائر لإبن إدريس الحلّي (ره).

(2) الأُصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر (ره) ص239، نقلاً عن السرائر لإبن إدريس الحلّي (ره).

زُبدةُ القول:

إستحبابُ إظهار الجزع على ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله، واستحباب الإبكاء عليه، وإستحباب إحياء أمره عليه السلام. أُمورٌ ثابتةٌ لا شكَّ ــ فيها وقد تَبيّنتَ ذلك واضحاً يا قارئي العزيز ــ فكذاك هو التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء صلوات الله عليه حقٌّ لا ريب فيه، ويجري عليه حكم الإستحباب؛ لكونه مصداقاً واضحاً لإظهار الجزع المستحب، والإبكاء المستحب، وإحياء الأمر المستحب. وقد مرّت بكَ الأدلةُ واضحةً جليةً. وستأتيك أدلةٌ اُخرى وأخرى، ((**ويأتيكَ بالأنباءِ مَنْ لم تُزَوِّد**)).

أدلّةٌ أُخرى ... لعلَّهم يُبصرون !

أولاً – حُزْنُ نبيّ الله يعقوب عليه السلام.

﴿**وتولَّى عنهم وقال يا أسفى على يُوسُفَ وابيضَّتْ عيناهُ من الُحزنِ فهو كظيم ۞ قالوا تالله تفتؤُا تذكرُ يوسفَ حتى تكون حَرَضاً أو تكون من الهالكين**﴾. 84 و85/ يوسف

وهنا ثمّةُ فوائد:

الفائدة الأولى: في المعاني اللغوية.

إبيضّت عيناه: أصابها البياض وهو فقدان البصر. ويقول صادق العترة عليه السلام: (**البكّاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين، فأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره ...**)[1].

وبصريح القرآن العزيز أنه عليه السلام ما ارتدَّ بصيراً حتى شمَّ قميص ولده يوسف: ﴿**فلمَّا أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه فارتدَّ**

(1) البرهان في تفسير القرآن ج2 ص264 ح5 ، نقلاً عن تفسير العيّاشي.

بصيراً﴾[1].

تالله تفتؤا تذكر يوسف: لا تفترُ عن ذكر يوسف ولا تنقطع عنه.

حَرَضاً: مُشرفاً على الهلاك أو ميِّتاً.

الفائدة الثانية: في قوّةِ حجّيةِ الإستدلال بحالةِ نبيٍّ الله يعقوب عليه السلام في المقام الذي نحن فيه.

وذلك من جهة:

أ – أنها سيرةُ نبيٍّ معصوم يبيّنها لنا الباري سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[2] ويُقرِّرها لنا لأجل الإعتبار والتأسّي بسيرة أوليائِهِ الطاهرين.

ب – إستدلّ بها إمامنا السجاد عليه السلام حين سُئِل عن طول حزنه وبكائه وجزعه على سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، حيث يروي لنا شيخنا أبو القاسم جعفر بن قولويه (ره) بأسانيده الموثوقة المعتبرة: (**أشرفَ مولىً لعليٍّ بن الحسين عليهما السلام وهو في سقيفةٍ**

---

(1) 96 / يوسف.

(2) 42 / فُصّلت.

له ساجدٌ يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين، أما آنَ لحزنك أن ينقضي ؟ فرفع رأسه إليه وقال: ويلك أو ثكلتك أمُّك، واللهِ لقد شكى يعقوب إلى ربِّه في أقلِّ مما رأيتُ حتى قال: ﴿ يا أسفى على يوسف ﴾، إنَّه فقد إبناً واحداً، وأنا رأيتُ أبي وجماعة أهل بيتي يُذبّحون حولي)[1].

وفي بحار الأنوار رواية أُخرى، أنه حين قال له أحد مواليه:

(أما آنَ لحزنك ان ينقضي ؟ فقال له صلواتُ الله عليه: ويحك إنّ يعقوبَ النبي عليه السلام كان له إثنا عشر إبناً فغيّبَ الله واحداً منهم، فإبيضّتْ عيناه من كثرة بكائه عليه، وإحدودب ظهره من الغمّ، وكان إبنُه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرتُ إلى أبي وأخي وعمِّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني ؟)[2].

الفائدةُ الثالثة: مدلول الآيتين الشريفتين.

دلّت الآيتان الكريمتان 84 و85 من سورة يوسف المباركة على معانٍ

---

(1) كامل الزيارات ص 115 ب 35 ح 2.

(2) بحار الأنوار ج 46 ص 108 ب 6 ح 1.

عديدةٍ من أهمِّها:

أ – أولوية إظهار الحزن والجزع والبكاء على أولياء الله حزناً على مصابهم أو شوقاً إليهم.

ب – أفضلية مثل هذا العمل على غيره خصوصاً وأن النبي يعقوب عليه السلام على علمٍ بأنّ فقدان البصر سيؤثر بشكلٍ وآخر على أعماله الأخرى والتي يكون التبليغ والإرشاد ورعاية أمور أتباعه من أهمِّها، ومع ذلك فهو قد بكى وبكى حتى كُفَّ بصرُه؛ لما يجده من فضلٍ وعظيمِ أجرٍ في بكائه شوقاً وحزناً على فراق وليٍّ الله، ولما في علمه من أنّ بكاءَه وحزنه هذا مفضَّل عند الله تعالى على غيره من سائر الأعمال الأُخرى، وإلاّ لما فعله فهو نبيٌّ معصومٌ وأسوة حسنة لأتباعه ومن يقتدي به من المؤمنين.

ج ـــ أفضلية وأولوية ورجحان التعرّض للضرر الشديد كفقدان البصر وإنطفاء نور العينين، وغير ذلك بسبب الحزن والغمِّ والبكاء والنحيب والجزع لأجل أولياء الله. علماً أنَّ قيمة العينين كقيمة الحياة، وهذا ما قرّره الشرعُ المبين في أحكام الديات، إذ جعل دية العينين كدية إنسان كامل.

د ــ لم يكن تعرّض النبي يعقوب عليه السلام لهذه الأضرار الكبيرة من دون قصدٍ وسابقِ علمٍ وكأنّها حصلت بغتةً فجأة، بل إنّ الأمرَ كان يحصل بعلمه وبعلم الآخرين من حوله، ألا ترى القرآن العظيم يخبرنا عن قولهم له عليه السلام: ﴿**حتى تكون حَرَضاً أو تكون من الهالكين**﴾؛ لأنهم كانوا يرون بأمِّ أعينهم أيُّ ضررٍ وألمٍ يُلحقه بنفسه بسبب شَوقه وحزنه وجزعه على وليِّ الله.

الفائدة الرابعة: في عِلمِ نبيِّ اللهِ يعقوب بحياة ولده يوسف عليهما السلام.

من دون مقدمات لابُدّ من القولِ: أن يعقوبَ النبي عليه السلام كان على علمٍ بحياة ولده يوسف عليه السلام، وإليك ما جاء من تلويحٍ وتصريحٍ بهذا الخصوص في كتاب الله العزيز:

1ــ ﴿**فصبرٌ جميلٌ عسى اللهُ أن يأتيَني بهم جميعاً**﴾ 83/ يوسف

2ــ ﴿**قال إنّما أَشكوا بثّي وحزني إلى اللهِ وأَعلَمُ من اللهِ ما لا تَعلمون**﴾ 86/ يوسف

3ــ ﴿**يابنيَّ اذهبوا فتحسَّسوا من يُوسُفَ وأخيه ولا تيأسوا من رَوحِ**

اللهِ إنّه لا ييأسُ من رَوحِ اللهِ إلاّ القوم الكافرون﴾ 87/ يوسف

4ــ **﴿ولّما فصلتِ العيرُ قال أبوهم إنّي لأجدُ ريحَ يوسُف لولا أن تفنِّدون ۞ قالوا تاللهِ إنَّكَ لفي ضلالك القديم ۞ فلمّا أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجههِ فارتدّ بصيراً، قال ألم أقُلْ لكم إنّي أعلمُ من اللهِ ما لا تعلمون﴾** 94 و95 و96/ يوسف

وأمّا الروايات الشريفة فإليك نموذج منها:

1ــ **(عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أخبرني عن يعقوب حين قال لولده ﴿اذهبوا فتحسَّسوا من يُوسُفَ وأخيه﴾ كان عَلِمَ أنه حي وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه من الحزن والبكاء ؟ قال: نعم عَلِمَ أنه حي؛ أنّه دعى ربَّه في السَحَر أن يُهبِطَ عليه ملك الموت، فهبط عليه ملك الموت في أطيب رائحةٍ وأحسنِ صورةٍ، فقال له: من أنت ؟ قال: أنا ملك الموت، أليس سألتَ اللهَ أن يُنزلني عليك ؟ قال: نعم. قال: ما حاجتك يا يعقوب ؟ قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها جُملة أو تفاريق ؟ قال: يقبضها أعواني متفرقة وتعرض عليّ مجتمعة. قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هل عرض عليك**

في الأرواح روح يوسف ؟ فقال: لا، فعند ذلك عَلِمَ أنه حي.

فقال لِولِده: ﴿اذهبوا فتحسَّسوا من يُوسُفَ وأخيه ولا تيأسوا من رَوح الله إنّه لا ييأسُ من رَوح الله إلاّ القوم الكافرون﴾)[1].

2- **(عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: ... وكان يعقوب يعلم أنّ يوسف حي لم يمت وأنَّ الله تعالى ذكره سيُظهِرُهُ له بعد غيبته، كان يقول لبنيه: ﴿ إنّي اعلم من اللهِ ما لا تعلمون ﴾)[2].**

ولا أظنّك يا قارئي العزيز أنّك بحاجةٍ إلى أكثر من ذلك لأجل بيان هذا الأمر وشرحه.

الفائدة الخامسة: زُبدةُ القول.

لقد بلغ ما بلغ من حزن يعقوب عليه السلام أن فقد بصره، وإبيضّ شعره، وتقوّس ظهره، وأسرع إليه الهرم حتى قال عنه إمامُنا الصادق عليه السلام حين سألوه: **(ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف ؟ قال**

---

(1) البرهان في تفسير القرآن ج2 ص263 ح2 في تفسير الآية 87 .

(2) البرهان في تفسير القرآن ج2 ص263 ح2 في تفسير الآية 86 .

عليه السلام: حزنُ سبعين ثكلى حرّى)[1]، وكان ذلك منه مع علمه بحياةِ ولدِهِ. وقد جاء في رواية علي بن إبراهيم (ره) في تفسيره المعروف أنه كان بين يوسف وأبيه مسافة ثمانية عشر يوماً لا غير، ومع كلِّ ذلك فإنّ نبي الله يعقوب عليه السلام قضى سنينه في الحزن العظيم والجزع الشديد؛ ولو لم يكن ذلك من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى لما فعله هذا النبيُّ المعصوم سلام الله عليه، ولما قرّره الباري جلَّ شأنه في كتابه العزيز.

فهل يحق لأحد بعد ذلك من أهل الدين والشرع أن يشكِّكَ في جواز بل مندوبية وإستحباب إلحاقِ ضررٍ لا يُعتدُّ به في إقامة الشعائر الحسينية المقدّسة لإظهار الحزن والجزع على مصاب أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. وقطعاً فقد تبّين لك مما تقدمَ أنَّ التطبير الحسيني لا ضرر فيه وحتى إن وجد فهو ممّا لا يُعتدُّ به. وأين يقعُ ضرر التطبير الحسيني على فرض وجوده من ضرر العمى وفقدان البصر ؟! فلمّا جاز هذا جاز ذلك مع أولويةٍ وأفضليةٍ وتأكيد؛ لجهاتٍ ثلاث يتميَّز بها الجزع والحزن على سيد شباب أهل الجنَّة صلوات الله عليه عن جزع وحزن

(1) البرهان في تفسير القرآن ج 2 ص 264 ح 2.

يعقوب على ولده عليهما السلام:

1- للفارق العظيم بين المنـــزلتين والمقامين لسيد الشهداء صلوات الله عليه ويوسف الصدِّيق عليه السلام.

2- لعظمة مصيبة أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه التي لا تشبهُها مصيبة ولا تُدانيها رزية؛ إذ لا يُمكننا المقايسة بين الذي جرى على يوسف عليه السلام، وبين ما جرى على غريب الطفوف عليه أفضل الصلاة والسلام.

3- للفارق الكبير جداً جداً بين ملابسات القضيتين وآثارهما، فأين وجه المقارنة أو المقايسة بين قضيةٍ عائليةٍ محدودة جوهرها التحاسدُ بين أخوةٍ لأبٍ واحدٍ في بيتٍ واحدٍ وعائلةٍ واحدةٍ، وبين القضية الحسينية الخالدة بكل أبعادها، وظروفها، وبكل أهدافها، وآلامها، وآمالها، وتضحياتها، ومآسيها الجسام القاسية؛ والتي دّوخت العقول عبر الأجيال والعصور ؟!

وختاماً يا قارئي العزيز فإنِّي أقول بملء فمي: إنّ الذي تدل عليه وبوضوح آيات الكتاب الكريم في قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام هو جواز، بل إستحبابُ إلحاقِ الضرر بالنفس في مواطن الحزن والجزع على أولياء الله؛ لما في ذلك من عظيم أجرٍ وسموِّ هدفٍ وجليل نفعٍ

وجزيلٍ فائدةٍ مثمرةٍ. ولا يخفى على كلِّ منصفٍ من محبي أهلٍ البيت عليهم السلام أنَّ التطبير الحسيني ليس فيه من إضرارٍ واقعيٍّ بالنفس، بل هو إضرار موهوم ومدّعى، إذ لا حقيقة له والتجربة الطويلة الوافرة وتأريخ مواكب التطبير الحسيني أدلُّ دليلٍ على ذلك. ومن هنا فإذا جاز إلحاق الضرر بالنفس حزناً وجزعاً على أولياء الله بحسب آيات الكتاب الكريم في قصة يوسف عليه السلام. فكيف سيكون القول في التطبير الحسيني الذي لا ضرر ولا إضرار فيه على النفس إذاً ؟

ولكن ﴿**أفلا يتدبّرون القرآنَ أم على قلوبٍ أقفالــــهُا**﴾[1].

وَواعجباً ممَّن يدّعي العلم والفقه والرئاسة الدينية، وهو يرى رضا الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم عن حزن نبيٍّ معصوم؛ لغيبة ولده أضرَّ به حتى أفقده بصره مع علمه بحياة ولده؛ وانّما كان ذلك منه شوقاً وحسرةً عليه بسبب ما يلقاه من مصاعب الحياة وبلاءاتها. كيف يتجرّأُ ويعلنُ عدَم رضا الله سبحانه وتعالى عن مواكب التطبير الحسيني حزناً وجزعاً على مصابٍ لا مثيل له عبر تاريخ البشرية وإلى يوم القيامة ﴿**قُل**

---

(1) 24 / محمّد صلّى الله عليه وآله.

ءَاللهُ أَذِنَ لكم أم على اللهِ تَفترون﴾[1].

ولا أُسهبُ في الكلام أكثر من ذلك، إلاّ أنني أقول: إذا كان قميص يوسف عليه السلام ببركته ويُمنِهِ ردَّ البصر والنور إلى العينين اللتين إنطفأ ضوؤُهما حزناً وجزعاً لأجل فراقه وشوقاً إليه. فإنَّ تراباً جالت عليه خيول الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الأوفياء وداسته بحوافرها ــ هو تراب الغاضريات ــ جعل الله فيه الشفاء من كل داء. وإنّ كلَّ قطرةِ دمعٍ أو دمٍ سالت حزناً وجزعاً على أبي عبد الله صلوات الله عليه، تردُّ البصيرةَ قبل البصر، وتجلي العقول، وتطهِّرُ القلوب، وترفع النفس الإنسانية إلى المراتب السامية.

---

(1) 59 / يونس .

ثانياً – خطبةُ أمير المؤمنين وسيد الوصيين صلوات الله وسلامه عليه.

وهي خطبته المعروفة المشهورة والتي أوَّلها:

(أمّا بعدُ، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنَّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه ...)، وقد خطبها حين وردت الأخبار بما فعله أصحاب معاوية ـــ لعنة الله عليه وعليهم ـــ لمّا غزوا الأنبار. فكان ممّا قاله عليه أفضل الصلاة والسلام:

(وهذا أخو غامد وقد وردت خيلُهُ الأنبار، وقد قتل حسَّانَ بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجُلَ منهم كان يدخُلُ على المرأةِ المسلمة والأُخرى المُعاهَدَة[1]، فينتَزِعُ حِجْلَها[2] وقُلْبَها[3] وقلائدها ورُعُثَها[4]، ما تمتنعُ منه إلاّ بالإسترجاع[5] والإسترحام، ثم إنصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم

(1) المُعاهَدَة : اليهودية أو النصرانية من أهل الذِمّة.

(2) الحِجْل : الخلخال.

(3) القُلبْ : السِوار المُصْمَت.

(4) الرُعُث : نوعٌ من الخرز.

(5) الإسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء مع قول إنّ لله وإنّا إليه راجعون.

كَلْمٌ[1]، ولا اُريقَ لهم دم. فلو أنّ إمرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً[2] ...)[3].

وأمّا مصادر هذه الخطبة الشريفة فهي كثيرة جداً ومن أهمّها:

1- نهج البلاغة ص69 وص70 خ.27

2- الكافي ج5 ص7 وص8 ح6 ب1/ فضل الجهاد.

وقد رواها أيضاً شيخ الطائفة (ره) في تهذيب الأحكام ج6 ص54 ح11، والشيخ الصدوق (ره) في معاني الأخبار، والشيخ المجلسي (ره) في بحار الأنوار، وأشار إليها الحر العاملي (ره) في الوسائل ج11، وغيرهم كثير جداً.

وأظنُّ يا قارئي العزيز أنّ وجه الإستدلال واضحٌ فيها لا غبار عليه ولا

---

(1) كَلْم : جرح.

(2) جديراً : مستحقاً للإحترام والتقدير والإكرام.

(3) ليس هناك من حاجةٍ للبحث في سند هذه الخطبة المعتبرة؛ لكونها معروفةً جداً، ومرويةً في أوثق المصادر، بل إنّ الذين يعارضون التطبير الحسيني لطالما إستشهدوا بها في كتبهم وأحاديثهم ومجالسهم ومجلاّتهم ودروسهم حين يكون الحديث عن فضل الجهاد وأهميته. وفوق كل ذلك فإنّ بلاغتها وقوة سبكها دليل على مصدرها، إذ لطالما إستدلَّ العلماء المحققون بقوة المتون وبلاغتها على قوة الأسانيد وإعتبارها وصحتها.

غَبشَ فيه؛ فسيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في خطبته هذه ما هو بلائمٍ لأي مسلم مات أسفاً وحسرةً لما جرى على نساء الأنبار من رعايا دولة أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام، حين سَلَبَ أتباع معاوية لعنة الله عليه وعليهم حليَّ نساء المسلمين ونساء أهل الذمَّة من اليهود أو النصارى، بعد أن قتلوا عامل أمير المؤمنين عليه السلام على الأنبار وعاثوا في الأرض فساداً. بل أنه عليه السلام يراه جديراً بالإحترام والتقدير، إذ يقول صلوات الله عليه: (**بل كان عندي به جديراً**) .

فإذا كان الموت أسفاً وحزناً لسلب إمرأة يهودية من رعايا دولة أمير المؤمنين عليه السلام حليَّها وزينتها أمراً يستحق الإنسان عليه التقدير والإكرام عند سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، فما بالك أيُّها المنصف في الذي جرى على عقيلة العقائل زينب الكبرى وعلى بنات أمير المؤمنين ونساء الحسن والحسين وآل بيت النبي صلوات الله عليهم جميعاً في عرصات الطفوف وما بعدها ؟! وما بالك في الذي جرى على سيد الشهداء صلوات الله عليه قبل الذبح وبعده ؟!

فأين الإنصاف يا تُرى ؟

وأين الحقُّ يا تُرى ؟

فَلِسَلْبِ إمرأةٍ يهودية من أهل الذمَّة يجوز الموت أسفاً .. بل من مات بسبب ذلك أسفاً وحسرةً كان به جديراً ! مع أنّ الثابت فقهاً حرمة الجزع في غير مصاب الحسين عليه السلام مطلقاً والنصوص شاهدة بذلك. والجزع ــ يا قارئي العزيز ــ أشدُّ بكثيرٍ جداً من الأسف فإذا كان الموت يُعدّ من الأسف كما هو واضحٌ وجليٌ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف بالجزع ومراتبه ؟!

ولا أريد الإطالة عليك، لكنَّ مخلص القول هو:

1- ممدوحية الموت أسفاً لسلب إمرأةٍ يهودية من أهل الذمة.

2- وعلى ما تقدم فإنّ الموت من درجات ومراتب الأسف.

3- ومن المعلوم فإنّ الأسف أقل بكثيرٍ من الجزع.

4- تأكيد المعصومين عليهم السلام وأمرهم لنا بإظهار الجزع على مصاب الحسين عليه السلام، والذي هو أعلى درجة من الأسف بكثير، بل جاء في بعض النصوص الشريفة ــ التي تقدَّم ذكرُها قبل قليل في نفس هذا الفصل ــ الحثّ على الهلع وهو أفحش الجزع. ولقد جزع وهلع إمامنا السجاد على مصاب أبيه عليهما السلام كما حدثنا بذلك عن نفسه المقدّسة.

فما هي النتيجةُ بعد ذلك يا تُرى ؟

أظنُّ أنّ الأمرَ بات واضحاً لذي عينين؛ أَفَبَعْدَ كل هذا ؟! كيف يمكن الإستشكال على جراحةٍ محدودة وخروج مقدار محدود من الدم لا يسبّب أدنى ضررٍ للإنسان يفعله عُشَّاق الحسين صلوات الله عليه في مواكب حزنهم وجزعهم عليه وعلى أهل بيته الأطهار وصحبه الأخيار؟!

ولكن ما عشتَ أراكَ الدهرُ عَجَبا !!!

ثالثاً – إستحباب زيارة سيد الشهداء صلوات الله عليه مع الخوف على النفس ووجود المخاطر العظيمة.

والأحاديث والأخبار عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم كثيرة وفيرة في هذا المضمون. وها أني ذاكرٌ لك بعضاً منها:

1- (**عن زُرارةَ قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: ما تقولُ فيمن زارَ أباك على خوف ؟ قال: يُؤمِّنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقّاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخَف ولا تحزن هذا يومك الّذي فيه فوزك**).

جاء مروياً في:

1- كامل الزيارات/ طبعة طهران ب45 ح1 ص135.

2- وسائل الشيعة ج10 ب47 ح1 ص356.

3- بحار الأنوار ج101 ص11.

2- (**عن إبن بُكَير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّي أنزل الأرَّجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجتُ فقلبي وَجِلٌ مُشفِقٌ حتّى أرجع؛ خوفاً من السلطان والسُعاة وأصحاب المسالح،**

فقال: يا ابن بُكير أما تحبّ أن يراك الله فينا خائفاً ؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلَّه الله في ظلِّ عرشه، وكان محدِّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإنْ فزع وقّرَته الملائكة وسكَّنَت قلبه بالبشارة).

جاء مروياً في:

1- كامل الزيارات ب45 ح2 ص135 وص136.

2- وسائل الشيعة ج10 ب47 ح2 ص356.

3- بحار الأنوار ج101 ص11.

3- **(عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوفٍ، فإنَّ من تركه رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والأئمة عليهم السلام ؟ أما تُحب أن تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له ذنوب سبعين سنة ؟ أما تحب أن تكون ممن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب يُتَّبع به ؟ أما تحب أن**

تكون غداً ممن يصافحهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟).

جاء مروياً في:

1- كامل الزيارات ب40 ح3 ص127 وب45 ح3.

2- وسائل الشيعة ج10 ب37 ح7 ص321.

3- بحار الأنوار ج101 ب1 ح30 ص8.

وقد مرَّ ذكرُ هذا الحديث بتمامه نقلاً عن الوسائل في الفصل الأول من هذا الكتاب.

4- **(عن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه سأله: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ قلت: نعم على خوفٍ ووجَل، فقال عليه السلام: ما كان في هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانهِ آمَن الله روعتَهُ يوم يقوم الناس لربِّ العالمين، وإنصرف بالمغفرة، وسلَّمت عليه الملائكة، ورآه النبي[1] صلّى الله عليه وآله وسلّم وما يصنع، ودعا له، وإنقلب بنعمةٍ من**

(1) وفي ص137 من كامل الزيارات بدلاً من: Mورآه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وما يصنع ودعا لهL جاء مذكوراً: Mوزاره النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعا لهL.

الله وفضل لم يمسسه سوء وإتبّع رضوان الله)[1].

---

(1) وإليك الحديث بتمامه وكماله نقلاً عن كامل الزيارات ب91 ح7 ص289 وص290 وص291:

(عن محمّد بن مسلم، قال: خرجت إلى المدينة وأنا وَجِعٌ، فقيل له: محمد بن مسلم وَجِعٌ، فأرسل إليَّ أبو جعفر عليه السلام شِرْباً مع غُلام مغطّى بمنديل، فناولنيه الغلام وقال لي: إشربه؛ فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه، فتناولته فإذا رائحة المسك منه، وإذا بشرابٍ طيِّب الطعم بارد، فلما شربتُه قال لي الغلام: يقول لك مولاك: إذا شربته فتعال. ففكّرت فيما قال لي وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلمّا إستقرَّ الشرابُ في جوفي فكأنّما نشطتُ من عِقال، فأتيت بابَهُ فإستأذنتُ عليه فصوّت بي: صحّ الجسم، أُدخل! فدخَلتُ عليه وأنا باكٍ، فسلّمت عليه وقبّلت يده، فقال لي: وما يُبكيك يا محمّد ؟! قلت: جُعلتُ فداك أبكي على إغترابي وبُعْدِ الشُقّة وقلّة القُدرة على المقام عندك أنظر إليك. فقال لي: أمّا قلّة القُدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهلَ مودّتنا، وجعل البلاء إليهم سَريعاً، وأمّا ما ذكرت من الغُربة، فإنّ المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس، حتّى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله، وأمّا ما ذكرت من بُعد الشُقة فلك بأبي عبد الله عليه السلام أسوة بأرضٍ نائيةٍ عنّا بالفرات، وأمّا ما ذكرتَ من حُبِّك قُربنا والنظر إلينا، وأنك لا تقدر على ذلك، فالله يعلم ما في قلبك وجَزاءك عليه. ثم قال لي: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم، على خوفٍ ووَجلٍ، فقال: ما كان في هذا أشدُّ فالثوابُ فيه على قدرِ الخوف، ومن خاف في إتيانه أمِنَ الله روعته يومَ يقوم الناس لربّ العالمين، وإنصرَفَ بالمغفرة ، وسلّمت عليه الملائكة، ورآه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وما يصنع، ودعا له وإنقلب بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يَمسسه سوءٌ واتّبع رِضوان الله. ثم قال لي: كيف وجدتَ

الشراب؟ فقلت: أشهد أنّكم أهل بيتِ الرحمة وأنّك وصيُّ الأوصياء، ولقد أتاني الغلام بما بعثتَه وما أقدرُ على أن أستقلّ على قدمي، ولقد كنتُ آيساً من نفسي، فنالني الشراب فشربتهُ فما وجدتُ مثل ريحه ولا أطيب من ذَوقهِ ولا طعمه ولا أبرد منه، فلمّا شربته قال لي الغلام: إنه أمرني أن أقول لك: إذا شربته فإقبل إليَّ. وقد علمتُ شدَّة ما بي، فقلت: لأذهبنَّ إليه ولو ذهبتْ نفسي، فأقبلتُ إليك فكأنّني اُنشطت مِن عِقال، فالحمد لله الذي جعلكم رحمةً لشيعتكم ورحمة عليَّ، فقال: يا محمّد إنّ الشراب الذي شربته فيه من طين قبر الحسين عليه السلام، وهو أفضل ما أستشفي به، فلا تعدل به، فإنّا نَسقيه صبياننا ونساءنا فَنرى فيه كلّ خير، فقلتُ له: جُعلتُ فداك إنّا لنأخذ منه ونستشفي به؟ فقال: يأخذه الرجل فيخرجه من الحائر وقد أظهره فلا يمرُّ بأحدٍ من الجنّ به عاهةٌ، ولا دابّةٍ ولا شيءٍ فيه آفةٌ إلاّ شَمّه فتذهب بركته فيصير بركته لغيره، وهذا الذي نتعالج به ليس هكذا، ولولا ما ذكرتُ لك ما يُمسح به شيءٌ ولا شَرِبَ منه شيءٌ إلاّ أفاق من ساعته وما هو إلاّ كحجر الأسود أتاه صاحبُ العاهات والكفر والجاهلية، وكان لا يتمسّح به أحدٌ إلاّ أفاق، وكان كأبيض ياقوتة فإسودّ حتى صار إلى ما رأيت، فقلت: جُعِلتُ فداك وكيف أصنع به؟ فقال: تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك تستخفّ به فتطرحه في خُرجكَ وفي أشياء دنسَة فيذهب ما فيه ممّا تريده له، فقلت: صدقتَ جُعلتُ فداك، قال: ليس يأخذه أحدٌ إلاّ وهو جاهلٌ بأخذه ولا يكادُ يسلم بالناس، فقلتُ: جُعلتُ فداك وكيف لي آخذه كما تأخذه؟ فقال لي: اُعطيك منه شيئاً؟ فقلت: نعم، قال: إذا أخذتَه فكيف تصنع به؟ فقلت: أذهب به معي، فقال: في أيّ شيء تجعلهُ؟ فقلتُ: في ثيابي، قال: فقد رَجَعْتَ إلى ما كنتَ تصنع، إشرب عندنا منه حاجتك ولا تحمله، فإنّه لا يسلم لك، فسقاني منه مرَّتين، فما أعلم أنّي وجدتُ شيئاً مما كنتُ أجدُ حتّى إنصرفت).

5- ما جاء في حديث قُدامة بن زائدة، عن أبيه قال: (**قال علي بن الحسين عليهما السلام: بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً ؟ فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك، فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقّنا ؟ فقلت: والله ما أريدُ بذلك إلاّ الله ورسوله، ولا أحفلُ بسخط من سَخَط، ولا يكبرُ في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إنّ ذلك لكذلك ؟ فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً. فقال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر ...**).

وقد مرَّ عليك يا قارئي العزيز هذا الحديث الطويل بتمامه في الفصل الأول من هذا الكتاب الذي بين يديك نقلاً عن كامل الزيارات ب88 من ص273 إلى ص278، فراجعه مرةً اُخرى وأُخرى تغتنم إن شاء الله تعالى.

6- (**عن الأصمّ[1] قال:حدَّثنا هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، قال: أتاه رَجل فقال له: يا بن رسول الله**

(1) هو عبد الله بن عبد الرحمن المسمعي.

هل يُزار والدُك ؟ قال: فقال: نعم ويصلّى عنده، وقال: يُصلَّى خلفه ولا يُتقدّم عليه، قال: فما لمن أتاه ؟ قال: الجنَّة إن كان يأتمُّ به، قال: فما لمن تركه رَغبةً عنه ؟ قال: الحسرة يوم الحسرة، قال: فما لمن أقام عنده ؟ قال: كلُّ يوم بألف شهر، قال: فما للمُنفق في خروجه إليه والمُنفق عنده ؟ قال: درهم بألف درهم، قال: فما لمن مات في سفره إليه ؟ قال: تُشيَّعه الملائكة، وتأتيه بالحنوط والكسوة من الجنَّة، وتُصلّي عليه إذا كُفِّن وتُكفِّنه فوق أكفانه، وتفرش له الرّيحان تحته، وتدفع الأرض حتى تُصوَّر من بين يديه مسيرة ثلاثة أميال، ومن خلفه مثل ذلك، وعند رأسه مثل ذلك، وعند رجليه مثل ذلك، ويفتح له باب من الجنَّة إلى قبره، ويدخل عليه رَوحها ورَيحانها حتى تقوم الساعة. قلتُ: فما لمن صلّى عنده ؟ قال: من صلّى عنده ركعتين لم يسأل الله تعالى شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه، قلتُ: فما لمن إغتسل من ماء الفرات، ثمَّ أتاه ؟ قال: إذا إغتسل من ماء الفرات وهو يريده، تساقطتْ عنه خطاياه كيوم ولدته اُمه، قال: قلت: فما لمن يجهز إليه ولم يخرج لعلّةٍ تُصيبه ؟ قال: يعطيه الله بكلّ درهم أنفقه مثل أُحُد من الحسنات، ويخلف عليه أضعاف ما أنفقه، ويصرف عنه

من البلاء مما قد نزل ليصيبه، ويدفع عنه، ويحفظ في ماله، قال: قلتُ: فما لمن قُتل عنده؛ جارَ عليه سلطانٌ فقتله ؟ قال: أول قطرة من دمه يُغفَر له بها كلُّ خطيئة، وتَغسل طينتَهُ التي خُلق منها الملائكةُ حتى تَخلُص كما خَلُصَت الأنبياء المخلَصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويُغسل قلبُه ويُشرَح صدره ويُملأ إيماناً، فيلقى اللهَ وهو مُخلَصٌ من كلِّ ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألفٍ من إخوانه، وتولّى الصلاةَ عليه الملائكةُ مع جبرئيل وملكِ الموت، ويُؤتى بكفنه وحنوطه من الجنَّة، ويوسّع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويُفتح له بابٌ من الجنَّة، وتأتيه الملائكة بالطُرَف من الجنَّة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى حظيرة القُدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تُبقي شيئاً. فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أوّل من يصافح رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأميرَ المؤمنين والأوصياءَ عليهم السلام، ويُبشِّرونه ويقولون له: إلزمنا، ويقيمونه على الحوض فيشرب منه ويسقي من أحبّ.

قلت: فما لمن حُبِسَ في إتيانه ؟ قال: لهُ بكل يومٍ يُحبس ويغتم فرحةٌ

إلى يوم القيامة، فإن ضُرب بعد الحبس في إتيانه، كان له بكلِّ ضربةٍ حوراء وبكلِّ وجَعٍ يدخل على بدنه ألفُ ألف حسنة، ويُمحى بها عنه ألفُ ألف سيّئة، ويُرفع له بها ألفُ ألف درجة، ويكون من محدَّثي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى يفرغ من الحساب، فيصافحه حملةُ العرش ويقال له: سَلْ ما أحببت. ويُؤتى ضاربه للحساب فلا يُسأل عن شيء ولا يُحتسب بشيء، ويؤخذ بضَبْعيه حتى يُنتهى به إلى مَلكٍ يحبوه ويتحفه بشربةٍ من الحميم، وشربةٍ من الغسلين، ويوضع على مقالٍ في النار، فيقال له: ذُق ما قدَّمتْ يداك فيما أتيتَ إلى هذا الذي ضربتَه، وهو وفدُ الله ووفدُ رسوله، ويؤتى بالمضروب إلى باب جهنّم، فيقال له: أُنظر إلى ضاربك وإلى ما قد لقي فهل شفيتَ صدرك، وقد اُقتصَّ لك منه ؟ فيقول: الحمد لله الذي إنتصر لي ولولد رسوله منه).

وقد جاء هذا الحديث مروياً في:

1- كامل الزيارات ب44 ح2 ص133 وص.134

2- بحار الأنوار ج101 ص.79

3- مستدرك الوسائل ج2 ص209/ الطبعة الحجرية.

بيـــان:

بعد ذكر هذه الروايات والأحاديث التي لا يحتاج فهمها ومعرفة فحواها إلى جهدٍ جهيد، اُلخِّصُ الكلام في النقاط التالية:

1- الروايات المتقدمة كلُّها منقولة من كتاب كامل الزيارات، الذي يعتبر بين المحققين من العلماء والفقهاء والمحدّثين أنَّه من أوثق كتب الطائفة وأعلاها منـــزلة وأشدّها إعتباراً[1].

2- متون هذه الروايات تدلُّ بوضوحٍ على:

أ - جواز بل إستحباب إلحاق الضرر بالنفس لو إستلزم ذلك في سبيل زيارة سيد الشهداء صلوات الله عليه.

ب - عظيم الثواب والأجر، وعظيم المنزلة والزلفى والقرب من الله سبحانه وتعالى بسبب ما يتحمّله الإنسان من أضرارٍ تلحق به، أو مخاطر عظيمة قد تُودي بحياته في سبيل زيارة أبي عبد الله الحسين المظلوم

---

(1) يذهب بعضٌ من علمائنا وفقهائنا إلى أنّ مجرد ذكر راوٍ من الرواة في أسانيد كتاب كامل الزيارات، هو دليل على وثاقته وصحة مقولاته ليس في كامل الزيارات فحسب، وإنّما في سائر الكتب الحديثية الأخرى.

صلوات الله وسلامه عليه[1].

---

(1) ومما قاله العلاّمة الشيخ عبد الحسين الأميني (ره) صاحب الغدير في تعليقه على كتاب كامل الزيارات ص261 / طبعة النجف الأشرف لسنة 1356 هـ: (ذهب غير واحد من الفقهاء والمحققين إلى جواز زيارة الحسين عليه السلام مع أي خوفٍ وضررٍ لإطلاق النصوص كما مرت في بابها ص125، ولعلّ التاريخ يُملي علينا دروساً من عمل الأصحاب على عهد الأئمة صلوات الله عليهم، منضمّة بتقريرهم له يؤكد ما إختاره المحققون. ولقد حُمِل إلينا عن أولئك أنهم ما صدّهم عن قصد مشهد الحسين عليه السلام ما كابدوه من المثلةِ والتنكيلِ والعقوبةِ بحبسٍ وضربٍ وقطعِ يدٍ وهتكِ حرمةٍ، وقابلوها بجأشٍ طامنٍ ولبٍّ راجحٍ وشوقٍ متأكّدٍ، وهذا كتابنا ينطق عليك بالحق في حديثٍ مرَّ في ص125 في زيارة إبن بكير وإتيانه لها من أَرَّجان من بلاد فارس خائفاً مشفقاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح، وهو من فقهاء الطائفة كما في رجال الكشي. وفيما يأتي في ص276 من حديث زيارة مثل محمّد بن مسلم على خوفٍ ووجلٍ، وهو أكبر ثقة في الطائفة، عدّه الصادقُ عليه السلام من أوتاد الأرض وأعلام الدين، وفي كلا الحديثين فضلاً عن تقرير الإمام عليه السلام لفعلهما، بيان ثواب جميل لهما بذلك، ونصَّ على أنّ ما كان من هذا أشدّ فالثواب على قدر الخوف. وفي حديث مرَّ في ص116 في زيارة مثل الحسين الليثي الكوفي الذي أطبق الأصحاب على ثقته وجلالته في زمان بني مروان في الشدة وخوف القتل وتلف النفس كما صرَّحَ بذلك في حديثه. ويدلّ على مختار المحققين حديث هشام بن سالم الثقة الجليل المروي عن الصادق عليه السلام بطوله في ص123 من الكتاب، وفيه تفصيل بيان ثواب عظيم لمن يقتل دون الحسين عليه السلام، وأجرٍ جميلٍ لا يُستهان به لمن حبس في إتيانه، وجزاءٍ جزيلٍ لمن ضرب بعد الحبس في قصد مشهده. إذن

فلا نُدحة من تعميم الحكم على جميع ما ذكر، وإن صعّد وصوّبَ فيه المهملجون).

وللتنبيه والفائدة أقول: إنّ أرقام الصفحات المذكورة في هذا التعليق تعود إلى كتاب كامل الزيارات طبعة النجف الأشرف لسنة 1356 هــ/ تحقيق وتعليق العلاّمة الأميني (ره)، وأمّا الأحاديث التي أشار إليها كحديث إبن بكير، وحديث محمد بن مسلم، وحديث هشام بن سالم رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، فهي مذكورة بتمامها وكمالها في ضمن الروايات التي بين أيدينا والتي ذُكرتْ قبل قليل في متن هذا الكتاب. ولابدّ من الإشارة إلى ما تحمّله الشيعة عبر العصور في سبيل زيارة أبي عبد الله عليه السلام وإحياء أمره؛ إذْ تفنَّنَ الظالمون والجبابرة والطغاة في أساليب منع زيارة الحسين عليه السلام والتنكيل بزوّاره، فمرةً إشترطوا على الزائر قطع يمينه كي يسمحوا له بالجواز إلى مشهد أبي الأحرار صلوات الله عليه؛ وقُدّمت الأيدي تلو الأيدي حتى نقلتْ الأخبار أن زائراً طلب منه الشرطة أن يقدّم يمينه للقطع فقدّمَ شماله، فقالوا له: نريد يمينك، فأخرجها لهم مقطوعة وقال لهم: قد قطعتموها في الزيارة السابقة، فقطعوا له شماله ...!! وتارةً أخرى يشترطون على كل عشرةٍ من الزوَّار أن يقتل واحدٌ منهم، وتسابق زوّار أبي عبد الله صلوات الله عليه إلى الشهادة والموت. وثالثة إشترطوا فيها أن يقتل من كل ثلاثة زوّارٍ أحدُهم، وإستمر الظلم بأشكالٍ مختلفة، وإستمرت التضحية والثبات والصمود إلى يومنا هذا.

3- البعد الأهم في ملاك تشريع الزيارة الحسينية المقدّسة، كما يبدو من كلمات المعصومين عليهم السلام هو بُعدٌ تربويٌ عقائدي:

تربويٌ من حيث العِبرة والأُسوة الحسينية بكل كمالها وحقّها وهداها.

وعقائديٌ من حيث تمتين وتشديد الرابطة الصحيحة بين الجماهير وقادتهم الربَّانيين، وإذكاء شعلة الحقِّ بإحياء القضية الحسينية، إضافةً لما يترتب على ذلك من عظيم الأجر والثواب، وتضاعف الحسنات، ومحو السيئات، وغفران الذنوب، وتوفيق الطاعة والعمل الصالح، ودفع البلاء في الدين والدنيا؛ لذا كان هذا الحثّ الأكيد من المعصومين عليهم السلام للتوجّه إلى زيارة سيد الشهداء صلوات الله عليه ولو إستلزم ذلك قتل النفوس، كما مرّ علينا في الأحاديث والروايات الشريفة التي ذُكرت قبل قليل.

فإذا جاز قتل النفس وتحمّل الأضرار والمخاطر الكبيرة في سبيل إحياء أمر الحسين عليه السلام، بل يظهر الإستحباب بشكلٍ واضح من تلكم الروايات والأخبار. فما قيمة الضرر الهيّن على فرض وجوده في التطبير حزناً وجزعاً على سيدِ شباب أهل الجنَّة صلوات الله وسلامه عليه إذاً؟! وما قيمة الإستهزاء والسخرية في مقابل ما يفعله الظالمون من تنكيلٍ

وتعذيبٍ وتقتيلٍ في سبيل إحياء أمر آلِ محمّد صلوات الله عليهم جميعاً؟! الجواب عندكم أيُّها المنصفون ... .

زُبْـــدةُ المخْـــض :

من قصة يوسف عليه السلام القرآنية، عرفنا جواز بل رجحان الإضرار بالنفس حتى درجة فقدان البصر شوقاً وحزناً على أولياء الله وما يجري عليهم.

ومن خطبة أمير المؤمنين عليه السلام، عرفنا جواز بل رجحان الموت أسفاً لأجل ما يجري من الأذايا والمحن على رعايا الدولة الإسلامية وإن كانوا من أهل الذمَّة كما صار في واقعة غزو الأنبار من قبل أصحاب معاوية لعنة الله عليه وعليهم.

ومن أحاديث إستحباب زيارة سيد الشهداء عليه السلام مع الخوف، عرفنا جواز بل رجحان تحمُّل البلايا والمخاطر العظيمة حتى درجة القتل في سبيل ذلك.

فهل يبقى لذي قولٍ مقالٌ ؟!

وهل بعد ذلك إلاّ القول بجواز بل رُجحان وإستحباب التطبير حزناً وجزعاً على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟!

وفي جوِّ الإستدلالِ أيضاً :

شواهدٌ ومؤيِّداتٌ

أ – من موارد الإدماء :

1- (عن مسلم الجصّاص قال: دعاني إبن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا اُجصِّصُ الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد إرتفعتْ من جنبات الكوفة، فأقبلتُ على خادمٍ كان معنا فقلتُ: مالي أرى الكوفة تضجُّ ؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجيٍّ خرج على يزيد، فقلتُ: من هذا الخارجي ؟ فقال: الحسينُ بن عليٍّ عليهما السلام، قال: فتركتُ الخادم حتى خرج، ولطمتُ وجهي حتى خشيتُ على عيني أن تذهب، وغسّلتُ يدي من الجُصِّ وخرجت من ظهر القصر وأتيتُ إلى الكُنَّاس. فبينما أنا واقف والناس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلتْ نحو أربعين شُقّة تُحمَل على أربعين جملاً فيه الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام، وإذا بعليٍّ بن الحسين عليهما السلام على بعيرٍ بغيرِ وطاءٍ، وأوداجُهُ تشخبُ دماً، وهو مع ذلك يبكي، ويقول:

يا أُمّةَ السُـــوءِ لا سَقياً لِربْعِكم   يا أُمّـــةٌ لم تُراع جـــدّنا فينـــا
لو أنّنا ورســـولَ الله يجمعنا   يومَ القيامةِ ما كُنتُم تقولونـــا
تُسيِّرونا على الأقتابِ عارية   كأنّنا لم نُشـــيِّدْ فيكـــم دينـــا
بني اُميّةَ ما هذا الوقوف على   تلك المصائبِ لا تُلبُّونَ داعينا
تُصفِّقون علينا كفَّكم فرحـــاً   وأنتم في فِجاجِ الأرضِ تسبُونا
أليس جدِّي رسولُ الله ويلكم   أهدى البريّةِ من سُبلِ المضِلِّينا
يا وقعةَ الطفِّ قد أورثتِني حُزناً   واللهُ يهتِكُ أســـتارَ المســـيئينا

قال: وصار أهلُ الكوفة يناولون الأطفالَ الذين على المحامل، بعضَ التمرِ والخبزِ والجوز، فصاحتْ بهم أمُّ كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة، إنّ الصدقةَ علينا حرام، وصارتْ تأخذ ذلك من أيدي الأطفالِ وأفواهِهم وترمي به إلى الأرض. قال: كلُّ ذلك والناسُ يبكون على ما أصابهم. ثمّ إنّ اُمَّ كلثوم أطلعتْ رأسَها من المحمل، وقالتْ لهم: صَهْ يا أهل الكوفة، تقتُلنا رجالُكم، وتبكينا نساؤكم ؟ فالحاكمُ بيننا وبينكم اللهُ يومَ فصلِ القضاء. فبينما هي تخاطبُهنَّ، إذا بضجّةٍ قد إرتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس، يَقدِمُهم رأسُ الحسين عليه السلام،

وهو رأسٌ زهريٌّ قمريٌّ أشبهُ الخلقِ برسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولحيتُه كسواد السَبَج[1]، قد إنتصل منها الخضاب، ووجهُهُ دارةُ قمرٍ طالع، والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً، فإلتفتتْ زينبُ فرأت رأسُ أخيها، فنطحتْ جبينَها بمُقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّمَ يخرُجُ من تحت قناعها، وأومأتْ إليه بحرقةٍ وجعلتْ تقول:

يا هلالاً لّما إســتتمَّ كمــالاً غاله خســفُه فأبدا غروبا

ما توهّمتُ يا شقيقَ فؤادي كان هذا مُقدّراً مكتوبا)[2].

وفي الزيارة المفجِعة التي يقرأُها زُوَّارُ العقلية عليها السلام حين المثول بين يدي ضريحها المقدّس في مشهدها المبارك:

(السلامُ عليكِ يا من نطحتْ جبينها بمُقدّم المحمل إذْ رأتْ رأسَ سيدِ الشهداء، ويخرجُ الدمُ من تحت قناعها ومن مَحملها بحيثُ يَرى من حولها الأعداء).

2- **(عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام: إنّ**

---

(1) السَبَج : حجر أسود شديد السواد برّاق وله فوائد طبّية.

(2) بحار الأنوار ج 45 ب 39 ص 114 وص 115.

المحرّم شهرٌ كان أهلُ الجاهلية يُحرّمون فيه القتال فإستحلّتْ فيه دماؤنا، وهُتكتْ فيه حرمتُنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا، واُضرمتْ النيرانُ في مضاربنا، وإنتُهِبَ ما فيها من ثقلنا، ولم تُرعَ لرسول الله حرمة في أمرنا. إنّ يومَ الحسينِ أقرح[1] جفونَنا، وأسبلَ دُموعَنا، وأذلَّ عزيزَنا بأرضِ كربٍ وبلاء، أورثتنا الكربَ والبلاءَ إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنَّ البكاءَ عليه يحطُّ الذنوبَ العظام.

ثّم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهرُ المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانتْ الكآبةُ تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر، كان ذلك اليوم يومُ مصيبتِهِ وحزنِهِ وبكائِهِ ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين صلّى الله عليه)[2].

3- ومما جاء في زيارة الناحية المقدّسة، حيث يقول إمامُ زماننا عليه السلام:

---

(1) أقرح : أخرج الدم بسبب ما فعله من جُرحٍ أو جراح.
(2) بحار الأنوار ج 44 ب 34 ح 17 ص 283 وص 284.

(فلئن أخّرتني الدُّهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربَكَ محارباً، ولمن نَصبَ لك العداوةَ مُناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ لك بدل الدُموع دماً، حسرةً عليك، وتأسُّفاً على ما دهاك، وتلهُّفاً حتى أموتَ بلوعةِ المصاب، وغُصّةِ الإكتياب)[1].

4- وعن بحار الأنوار لشيخنا المجلسي (ره):

(إنَّ آدم لّما هبط إلى الأرض لم يرَ حوّا، فصار يطوف الأرضَ في طلبها فمرَّ بكربلا، فإغتمّ وضاق صدرُه من غير سبب، وعثر في الموضعِ الذي قُتِل فيه الحسينُ، حتّى سال الدّمُ من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدثَ منّي ذنبٌ آخرٌ فعاقبتني به ؟ فإنّي طفتُ جميعَ الأرض، وما أصابني سوءٌ مثل ما أصابني في هذه الأرض. فأوحى اللهُ إليه: يا آدمُ ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدُك الحسين ظُلْماً، فسال دمُك موافقةً لدمِهِ، فقال آدم: يا ربِّ أيكون الحسين نبيّاً ؟ قال: لا، ولكنه سبطُ النبيِّ محمّد، فقال: ومَن القاتل له ؟ قال: قاتله يزيد لعينُ أهلِ السماوات والأرض. فقال

(1) بحار الأنوار ج 101 ب 41 ص 320.

آدمُ: فأيُّ شيءٍ أصنعُ يا جبرئيل ؟ فقال: إلعنه يا آدم، فَلَعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّا هناك)[1].

5- وعنهُ أيضاً:

(إنَّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلا وهو راكبٌ فرساً، فعثرتْ به وسقط إبراهيم وشُجَّ رأسُه وسال دمُه، فأخذ في الإستغفار وقال: إلهي أيُّ شيءٍ حدث مني ؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يُقتل سبطُ خاتم الأنبياء، وابنُ خاتم الأوصياء، فسال دمُك موافقةً لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله ؟ قال: لعينُ أهلِ السماوات والأرضين، والقلمُ جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربِّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنّك إستحققتَ الثناء بهذا اللّعن. فرفع إبراهيمُ عليه السلام يدَه ولعنَ يزيدَ لعناً كثيراً، وأمّنَ فرسُه بلسانٍ فصيحٍ، فقال إبراهيمُ لفرسِه: أيُّ شيءٍ عرفتَ حتى تؤمِّن على دعائي ؟ فقال: يا إبراهيمُ أنا أفتخر بركوبك عليَّ، فلمَّا عثرتُ وسقطتَ عن ظهري، عظُمتْ خجلتي وكان سببُ

---

(1) بحار الأنوار ج 44 ب 30 ح 37 ص 242 وص 243.

ذلك من يزيد لعنه الله تعالى)[1].

6- وعنه أيضاً كذلك:

(إنّ موسى كان ذات يومٍ سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرضِ كربلا إنخرق نعلُه، وإنقطع شراكه، ودخل الحَسَكُ[2] **في رجليه، وسال دمُه، فقال: إلهي أيُّ شيءٍ حدث منّي ؟ فأوحى إليه أنّ هنا يقتل الحسينُ عليه السلام، وهنا يسفك دمُه، فسال دمُك موافقةً لدمِهِ، فقال: ربِّ ومن يكون الحسين ؟ فقيل له: هو سبطُ محمّدٍ المصطفى، وإبنُ عليٍّ المرتضى. فقال: ومن يكون قاتله ؟ فقيل: هو لعين السَمكِ في البحار، والوحوشُ في القفار، والطير في الهواء. فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشعُ بن نون على دعائه ومضى لشأنه)**[3].

---

(1) بحار الأنوار ج 44 ب 30 ح 39 ص 243.

(2) الحَسَك : هو حَسَك السعدان وهي عشبة شوكها مدحرج.

(3) بحار الأنوار ج 44 ب 30 ح 41 ص 244.

7- وفي كامل الزيارات:

(عن محمّد بن سنان – عمّن ذكره – عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيلَ الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿واذكُر في الكتابِ إسماعيل إنّهُ كان صادق الوعْدِ وكان رسولاً نبياً﴾[1]، لم يكن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، بل كان نبياً من الأنبياء، بعثه الله إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروةَ رأسِه ووجهِهِ، فأتاه مَلَكٌ عن الله تبارك وتعالى فقال: إنّ الله بعثني إليك فمُرني بما شئتَ، فقال: لي أُسوةٌ بما يُصنع بالحسين)[2].

8- ومنهُ أيضاً:

(عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّه كان لله رسولاً نبياً تسلّط عليه قومُه، فقشروا جلدةَ وجهِهِ وفروةَ رأسِهِ، فأتاه رسولٌ من ربِّ العالمين فقال له: ربُّك يُقْرؤك السلام ويقول: قد رأيتُ ما صُنعَ بك؛ وقد أمرني بطاعتِكَ، فمُرني بما شئتَ، فقال:

---

(1) 54 / مريم .

(2) كامل الزيارات ب 19 ح 1 ص 62 وص 63 / طبعة طهران.

يكون لي بالحسين أُسوة)[1].

وسنرى أحاديثَ أخرى عن المعصومين عليهم السلام في هذا المضمون في الفصل السادس من هذا الكتاب في طوايا كلمات علماء وفقهاء ومراجع الأمة، كقول الإمام الصادق عليه السلام: (**على مِثْلِ الحسينِ فلتُشقُّ الجيوبُ، ولتُخمشُ الوجوه، ولتُلطم الخدود**)، ولا يخفى فإنَّ لازمة خمش الوجوه هو الإدماء. وكذلك ما جاء منقولاً عن الإمام السجَّاد عليه السلام أنّه (**كان إذا أخذ إناءً ليشرب يبكي حتى يملأه دماً**)، وغير ذلك ممّا إستدلَّ به علماءُ الأمةِ وفقهاؤها وإستشهدوا به.

ب – من موارد إلحاق الضرر بالنفس حتى الموت، المؤيَّدة بتقرير المعصوم عليه السلام ورضاه:

1- خطبة وصف المتقين في نهج البلاغة الشريف أشهرُ من نارٍ على عَلَم بين أهل العلم وأهل الدين من خاصَّتهم وعامَّتهم. فلنُدقِّق النظرَ في قصة هذه الخطبة. وإليك نصُّ ما ذكره الشريف الرضي (ره) في نهج البلاغة:

---

(1) كامل الزيارات ب 19 ح 2 ص 63.

(روي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يُقال له هُمام، كان رجلاً عابداً فقال له: يا أميرَ المؤمنين، صِفْ لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم. فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: يا هُمام إتَّقِ الله وأحسِنْ فَــ ﴿إنّ اللهَ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1]. فلم يقنع هُمام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيِّ صلّى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام:

أمّا بعدُ ... إلى آخر الخطبة الشريفة.

قال: فصعق[2] همام صعقة كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما واللهِ لقد كنتُ أخافُها عليه. ثم قال: أهكذا تصنع المواعظُ البالغةُ بأهلها ؟)[3].

تعليـــق:

قول سيد الأوصياءِ عليه أفضل الصلاة والسلام:

(**أما والله لقد كنتُ أخافها عليه**) يُشعرنا بأنّ هُماماً كان متوقَّعاً منه

(1) 128 / النحل .
(2) صعق : وقع مغشياً عليه.
(3) نهج البلاغة خ 193 ص 303 - 306.

أن يكون الذي منه كان، حيث وقع مغشياً عليه وفارقتْ روحُهُ الدنيا. وهذا يدلّ بنحوٍ مؤكَّدٍ على جواز الإقدام على ما يُلحق الضرر بالنفس ولو إلى درجة الموت مع العلم المسبق أو الظنِّ الشديد قبل الشروع في بعضٍ من الحالات المعنوية كالتي كان الحديث عنها في هذه الواقعة. وقوله عليه السلام: (**أهكذا تصنع المواعظُ بأهلها ؟**) تقريرٌ واضحٌ وإمضاءٌ بيّن لحالة هُمام رضوان الله تعالى عليه، بل هو في الحقيقة مدحٌ بليغٌ وبيانٌ جزلٌ لسموِّ المقام المعنوي والدرجة الإيمانية لهمام ومن كان مثله.

وخُلاصةُ القول هي: جوازُ، بل رجحان إلحاق الضرر بالنفس ولو كان ذلك إلى درجة الموت في بعضٍ من الحالات المعنوية، فهُمامٌ رضوان الله تعالى عليه سمِع أوصافَ المتقين فصعق صعقة كانت نفسه فيها. فكيف لو سمع بما جرى على إمام المتقين وسيدِّهم وحجةِ الله البالغة عليهم سيدِ الشهداءِ صلوات الله عليه:

(**.... ولما ضَعُفَ الحسينُ عليه السلام عن القتال وقف يستريح، فرماه رجلٌ بحجرٍ على جبهته فسال الدمُ على وجهه، فأخذَ الثوبَ ليمسح الدم عن عينيه، رماه آخرٌ بسهمٍ محدّدٍ له ثلاث شُعب وقع**

على قلبه فقال: بسمِ اللهِ وباللهِ وعلى ملّةِ رسولِ الله، ورفع رأسَهُ السماء وقال: إلهي إنّك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض إبنُ بنتِ نبيٍّ غيري !! ثم أخرج السهمَ من قفاه وإنبعث الدمُ كالميزاب، فوضع يده تحت الجرح، فلمّا امتلأت رمى به نحو السماء وقال: هوَّنَ عليَّ ما نزل بي أنه بعين الله، فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض ! ثم وضعها ثانياً فلمّا إمتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال: هكذا أكون حتى ألقى الله وجدِّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا مخضَّبٌ بدمي ... وأعياهُ نزفُ الدم فجلس على الأرض ينوء برقبته، فانتهى إليه في هذا الحال مالكُ بن النسر فشتمه، ثم ضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه بُرنس، فإمتلأ البرنسُ دماً فقال الحسين عليه السلام: لا أكلتَ بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين ... فصاح الشمرُ: ما وقوفكم وما تنتظرون بالرجل وقد أثخنته السهامُ والرماحُ ؟! إحملوا عليه !

وا أســفاه حملوا عليــهِ — من كلِّ جانبٍ أتــوا إليــهِ
قد ضربوا عاتِقَه المطهَّرا — بضربةٍ كبى لها على الثرى[1]

(1) المقبولة الحسينية ص 56.

وضربه زرعةُ بن شريك على كتفه الأيسر، ورماه الحصينُ في حَلقِهِ، وضربه آخرٌ على عاتقه، وطعنه سنانُ بن أنس في ترقوته، ثم في بواني صدر رماه بسهمٍ في نحره، وطعنه صالح بن وهب في جنبه. وأقبل الفرس يدور حوله ويُلطِّخ ناصيته بدمه فصاح ابنُ سعد: دونكم الفرس ... فلمَّا أمِن الطلب أقبل نحو الحسين يُمرِّغ ناصيتَه بدمِه ويشمُّه ويصهل صهيلاً عالياً. قال أبو جعفر الباقر عليه السلام كان يقول: (الظليمةُ، الظليمةُ، من أُمةٍ قتلتْ ابنَ بنتِ نبيها) وتوجّه نحو المخيم بذلك الصهيل ... ثم صاح إبنُ سعدٍ بالناس: انزلوا إليه وأريحوه، فبدَر إليه شمرٌ فرفسه برجله وجلس على صدره، وقبض علىشيبته المقدّسة، وضربه بالسيف إثنتي عشرة ضربة، وإحتزَّ رأسَه المقدّس !!!!!!

وأقبل القومُ على سلبِهِ، فأخذ إسحاق بن حوية قميصَه، وأخذ الأخنسُ بن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامتَه، وأخذ الأسودُ بن خالد نعلَيه ... وجاء بَجْدَل فرأى الخاتمَ في إصبعه والدماء عليه فقطع إصبعَه وأخذ الخاتم ..... وأراد رجل منهم أخذ تِكّةِ سِرواله

وكان لها قيمة[1] وذلك بعدما سلبه الناس يقول: أردتُ أن أنزع التِكّةَ فوضع يدَه اليمنى، فلم أقدر على رَفعِها فقطعتُ يمينَه، فوضع يَده اليسرى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعتُها، وهممتُ بنـــزعِ السروال فسمعتُ زلزلةَ فخفتُ وتركته وغُشي عليَّ ...)[2].

أتُرى همّاماً ماذا يصنع ؟ سؤالٌ أتركُ جوابه للمنصفين ... .

وماذا يقول سيدُ الأوصياءِ عليه السلام لقومٍ يلطّخون رؤوسَهم بدمائهم حزناً وجزعاً على مصاب إمامهم من دون أن يلحقهم أي ضررٍ يذكر، بعد أن قال ما قال عليه أفضل الصلاة والسلام في هُمامٍ الذي قضى نحبَه في صعقةٍ لأجل موعظةٍ بالغةٍ ؟!

2- تحت نظر الإمام السجاد صلوات الله عليه وتقريره، آلتْ الربابُ عليها السلام ــ أمُ عبد الله الرضيع ــ على نفسها أن لا تسكن تحت ظلٍّ، بعد أن بقي أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ثلاثاً على الثَرى من دون ظِلٍّ، وبقيتْ تتحملُ آلامَ حرِّ الحجازِ وقَرِّه، لم يُظِلَّها سقفُ

---

(1) كانت قيمتها بضعة دراهم.

(2) مقاطع قصيرة من قصة مقتل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه عن كتاب مقتل الحسين عليه السلام، أو حديث كربلاء للسيد المقرّم (ره) بين سطور الصفحات من 278 إلى ص285.

بيتٍ حتى ودّعتْ الدنيا بعد عاشوراء بسنةٍ واحدةٍ. وهذا الأمر ليس بخفيٍّ إذْ نقله مؤرِّخوا العامّة[1] قبل الخاصّة.

ويحضرُني من الشعر ما يناسب المقام:

البِـــدارَ البِـــدارَ آلَ نـــزارِ قد فُنيتُم ما بين بيضِ الشِفارِ[2]
لا تلـــدْ هاشـــميةٌ علويـــاً إن تركتُـــم أُميـــةً بقـــرارِ
طأطأوا الرؤوسَ إنّ رأسَ حسينٍ رفعـــوه فوقَ القنا الخطّارِ[3]
لا تذوقوا المعين وإقضوا ظمايا بعد ظامٍ قضى بحدِّ الغِرارِ[4]
لا تمدُّوا لكم عن الشمسِ ظلاًّ إنَّ في الشمسِ مُهجةَ المختارِ
حقّ أن لا تُكفِّنـــوا هاشـــمياً بعد ما كَفّنَ الحسينَ الذاري
لا تشـــقُّوا لآلِ فِهـــرٍ قبـــوراً فابنُ طه مُلقىً بلا إقبـــارِ[5]

وبعدما رأيت يا قارئي العزيز من حال سيدتنا الرباب سلام الله عليها وما تحمّلته من آلامٍ وأوجاعٍ خلال سنةٍ كاملة حتى فارقت الدنيا، كلُّ

---

(1) على سبيل المثال راجع إبن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ج 3 ص 30 وغيره.

(2) الشِفار : السيوف الحادّة الصقيلة.

(3) الخطّار : الرمح الطويل.

(4) الغِرار : السيف.

(5) الأبيات من قصيدةٍ عصماء للشيخ عبد الحسين شكر (ره).

ذلك حزناً وجزعاً على سيد شباب أهل الجنَّة عليه أفضل الصلاة والسلام. أفيحقّ لأحدٍ أن يعترض على مواكب التطبير الحسيني والتي لا يُقاس ما فيها من حزنٍ وجزعٍ أبداً بأيٍّ وجه من الوجوه مع حزنٍ كحزن سيدتنا الرباب عليها السلام ؟! ولكن ماذا نقول إذا إنقلبتْ الموازين، وإنتكس الوجدان، ومات الإنصاف ؟!

خاتمة الفصل الخامس :

مرّ علينا في هذا الفصل :

1- دليل أصالة البراءة: إذ كل شيءٍ هو لك حلال حتى تعلم بحرمته.

2- أحاديث: إستحباب الجزع، الإبكاء، إحياء الأمر.

3- حزن نبي الله يعقوب عليه السلام، خطبة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، أحاديث استحباب زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف والمخاطر.

4- مجموعة من الشواهد والمؤيِّدات.

وكلّ ذلك يدلّ بوضوح على جوازِ ورجحان وأولوية وإستحباب التطبير حزنا وجزعاً على سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

ومهما يكن فإنّه حتى لو أنكر المنكرون كلَّ هذه الأحاديث والروايات

والأدلّة ــ ولا يكون ذلك قطعاً منهم إلاّ جهلاً أو مكابرةً وعناداً ــ فإنهم لا يمكنهم بأي وجهٍ من الوجوه أن يتركوا الإفتاء والعمل بالأصل العملي القائل بالجواز لعدم وجود أي نصٍّ أو حديثٍ في أيديهم يمنع من التطبير الحسيني. وإلاّ كانت فتاواهم وآراؤهم إفتاءاً من غير علم، ومن أفتى بغير علم فأمْرُهُ معروف.

الفصلُ السادسُ

مراجعُ الأُمّـــةِ وفُقهاؤُها
ماذا قالوُا ؟ وماذا فعلوُا ؟

أعرض بين يديك يا قارئي العزيز إضمامةً عَطِرةً من كلمات وفتاوى مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها في التطبير حزناً وجزعاً على سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه مقتطفاً ذلك من هنا وهناك:

تارةً من كتبهم، وأخرى من أجوبتهم ونصوص فتاواهم، وثالثةً من بياناتهم وأحوالهم، كلّ ذلك لا على نحو التتبع والتقصِّي، وإنّما هي شذرات أُزيِّنُ بها كتابي هذا وأحاول من خلالها أن أضع صورةً واضحةً عن موقف علماء الأمّة ورجالاتها من التطبير الحسيني بين يديك الكريمتين أيها القاريءُ الفهيم:

1- ممّا كتبه مرجع الطائفة وفقيهها الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ره) في جوابه على الإستفتاء الموجّه إليه من جماعة من ذوي الفضل من النجف الأشرف يسألونه عن المواكب الحسينية وشعائر العزاء الحسيني بكلّ أشكاله المعروفة بين شيعة أهل البيت عليهم السلام:

(نحن إذا لم نقل بإستحبابها ورجحانها لتوفُّر الأدلة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبية تلك المظاهرات لأهل البيت عليهم السلام، فلا أقلّ من القول بالجواز والإباحة)[1].

---

(1) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ص5 .

إلى أن يقول(ره):

(وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال ــ التي إستمرت السيرةُ عليها منذ مئات من السنين، وذلك بمشاهدة أعاظم العلماء لها وصُلحاء أهل الدين، مع عدم النكير من واحدٍ منهم، لا حديثاً ولا قديماً، مع أنها بمرئى منهم ومسمع ــ ما أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلاّ دسيسة أُموية أو نزعة وهابية، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور الذي أبى الله إلاّ أن يتمّه ولو كره الكافرون، كما إني لا أرتاب في أنه لو تمت لهم هذه الحيلة ونجحت ــ لا سمح الله ــ هذه الوسيلة وعُطِّلتْ تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاثة سرى الداء وإستفحل الخطب وتطرّقوا إلى السؤال والتشكيك فيما يقام في بلاد الشيعة من المآتم وجعلوا ذلك باباً إلى إماتة تلك المحافل والمشاهد، التي باحيائها إحياء الدين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم.

ومَن له أقلَّ إلمامٍ ووقوفٍ على المجتمعات والجمعيات ــ التي عقدت في هذه الأعصار في مصر ودمشق وغيرها، وما أصبحتْ تنشره من المقالات والمؤلّفات في إحياء ذكر بني أمية، وتنــــزيههم وتبرير أعمالهم، وتبرئتهم من قتل الحسن والحسين عليهما السلام، والتنويه

بذكر يزيد وأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المرضيِّين ــ عَرِف من أين سرى هذا السُمِّ الخبيث، وجاءَت تلك البليةُ التي تُريد أن تقضي على حياة الشيعة، وتُزهِق روحَ الشريعة، ولا يُروّج هذا إلاّ على السُذَّج والبُسطاء والمغفَّلين؛ الذين يقتلون الدينَ بإسمِ الدين من حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين ــ ثبتهم اللهُ بالقول الثابت، وأيَّدهم بروح منه ــ تَركِ الخوض في مثل هذه الأُمور المتسالم عليها خَلَفاً عن سَلَف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيلِ الشفاعةِ، والدخول في سفينةِ النجاةِ وأبواب الرحمة، وليصرفوا أوقاهم الثمينة في الإتفاق والتعاضد والتعاون على البِرِّ والتقوى فيما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحقّ والهدى ــ إنْ شاء الله تعالى ــ ولا يخوضوا في ما يوجب إختلاف الأمة وتفرقة الكلمة، والله ولّي التوفيق وبه المُستعان)[1].

وفي البيان الذي وجَّههُ إلى أهل البصرة بعد أن تتابعت عليه البرقيات تستفتيه وتسأله عن حكم الشريعة في الشعائر الحسينية عموماً قال

(1) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ص 6 وص 7.

(ره):

(أمَّا الحكمُ الشرعي في تلك المظاهرات والمواكب، فلا إشكال في أنّ اللطمَ على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات بالمشاعل والأعلام، مباحةٌ مشروعةٌ، بل راجحةٌ مستحبّةٌ، وهي وسيلةٌ من الوسائل الحسينية، وباب من أبواب سفينة النجاة، وأما الضرب بالطبول والأبواق وأمثالها ممّا لا يُعدّ من آلات اللهو والطرب، فلا ريب أيضاً في إباحتها ومشروعيتها للإعلام والإشعار وتعظيم الشعار. وأما الضرب بالسيوف أو الخناجر والإدماء، فهو كسوابقه مباحٌ بمقتضى أصل الإباحة، بل راجحٌ بقصد إعلان الشعار للأحزان الحسينية. نعم إلاّ أنْ يُعلم بعروض عنوان ثانوي يقتضي حرمة شيءٍ من تلك الأعمال الجليلة؛ مثل كونه موجباً للضرر بتلف النفس أو الوقوع في مرضٍ مزمنٍ. أمّا الألم الذي يزول بسرعةٍ، فلا يوجب الحرمة)[1].

وقد كتب (ره) بهذا الخصوص مُصرِّحاً في بيانٍ ثالث وجهّه إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام:

(1) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ص9 وص10.

(سألتُم ــ أعزّكم الله ــ في عدَّة برقيات وردت إلينا منكم، ومراسلات تتابعت لدينا عنكم: عن المواكب الحسينية ــ زاد اللهُ شرفها ــ وعمّا يجري فيها من ضرب الرُؤوس والصدورِ بالسلاسل والسيوف، والإدماء وقَرْعِ الطوس، والطبول والشبيه، أو الخروج في الشوارع والأزقّة بالهيئات المتعارفة، والكيفيات المتداولة في أكثر بلاد الشيعة ــ نصرها الله ــ سيّما في العتبات المقدّسة دام شرفها.
ولعمري ما كنتُ أحسب أنَّ هذا الموضوع يعرض على مطرقة النقد والتشكيك، أو يُطرح في منطقة السؤال والترديد، كيف وقد مرّتْ عليه الدهورُ والأحقاب، وخضعت له أساطينُ الملَّة وأعلامِ الشريعة في جميع الأعصار والأدوار، ما أنكره منكرٌ ولا إعترضه معترض، وهو بمرأى منهم ومسمع ومنتدى ومجمع، وقد كان يجري في القرن الماضي ــ أزمنة السيد بحر العلوم وكاشف الغطاء قدّس الله أسرارهم ــ من التشبيهات التي كانت تُسمّى الدائرة ما هو أوسع وأشيع، وأكثر وأوفر مما يجري في هذه العصور، وفضلاً عن سكوت أُولئك الأساطين كانوا يمدُّوهم بالمساعدة، ويعضدوهم بالحضور والمشاهدة. وفي كشف الغطاء وجامع الشتات للمحقق القمّي وغيرهما من أقرانهما ما يشهد بذلك أكبر شهادة.

دع عنك هذه الشواهد والمشاهد وانظر إلى المسألة من وجهها العلمي ومن حيث القواعد والأدلة:

أما أوّلاً: فالأصول الأولية تقضي بإباحة جميع تلك الأعمال، وعلى مدَّعي الحرمة إقامة الدليل عليها، والأصل مع المُنكِر، ومطالبتِهِ بالدليل تضليل.

وأمّا ثانياً: فكلٌّ واحدٍ من تلك الأعمال ـــ على الإجمال ـــ ممّا يتخرّج لمشروعيته وجهٌ وجيه عند المتظلِّع الفقيه، من عموماتِ الأدلة ومحكماتِ القواعد المعقولة والمنقولة.

اللطم واللدم: من ذا يشك ويرتاب في رجحان مواساة أهل بيت الرحمة وسفن النجاة، والتأسِّي بهم في الأفراح والأتراح والضرّاء والسرّاء، أو من ذا يشك أنّ أهل البيت سلام الله عليهم قد لطموا في فاجعة الطف وجوهَهم، ولدموا صدورهم، وقرّح البكاءُ خدودَهم وعيونَهم. وفي زيارة الناحية المقدّسة:

((فبرزن من الخدور، ناشرات الشعور، لاطمات الخدود، سافرات الوجوه))[1] ولا تقل إنّ هذا مخصوص بيوم الطف وما قاربه، فقد

---

(1) يبدو أنّ الشيخ كاشف الغطاء (ره) ذكر مضمون النص بنحوٍ إجمالي وإلاّ فالنصّ

روى الصدوق رضوان الله عليه أنّ دعبل لما أنشد الرضا عليه السلام تائيّتَه المشهورة التي فيها: (إذاً للطمتِ الخدَّ فاطمَ عنده ... إلخ) لطمتْ النساءُ وعَلا الصُراخُ من وراء الستر، وبكى الرضا عليه السلام في إنشاد القصيدة حتى اُغميَ عليه مرتين ... فإذا جاز للرضا عليه السلام أن يتعرّض لسبب الإغماء الذي هو أخُ الموت، فلماذا لا يجوز لشيعته ضرب الرُؤوس والظهور ولدم الصدور وأمثالها مما هو دون الإغماء بكثير)[1].

إلى أن يقول (ره):

(ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل: لا ريب إن جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده، في حدِّ ذاته من المباحات الأصلية،

هكذا: (فلمّا رأينَ النساء جوادَك مخزيّاً، ونظرنَ سرجَكَ عليه ملويّاً؛ برزنَ من الخدور، ناشراتِ الشُعور على الخدود، لاطمات الوجوه، سافراتٍ وبالعويلِ داعيات، وبعدَ العزِّ مُذلَّلات ...). ولا يخفى على العارفين بلغة العرب، أنّ المرأة التي يقِلُّ خروجُها من دارها؛ لشدّة حشمتها إذا خرجت من بيتها أو خبائها أو خيمتها يُقال لها: سَفرَتْ المرأةُ من بيتها؛ أي خرجت منه، كما يُقال للشمس حين شروقها: سَفرَتْ الشمسُ؛ أي خرجت من الظلام، ويُقال: أسفرَ الصبحُ، فكأنّه كان مُحتجباً في الظلام وخرج منه.

(1) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ص12 و13 و14 و15.

ولكنه قد يجب تارةً وقد يحرم أُخرى، وليس وجوبه أو حرمته إلاّ بالعناوين الثانوية الطارئة عليه، وبالجهات والإعتبارات. فيجب كما لو توقّفت الصحةُ على إخراجه كما في الفصد والحجامة. وقد يحرم كما لو كان موجباً للضرر والخطر من مرضٍ أو موتٍ. وقد تَعرِض له جهةٌ تُحسِّنه ولا توجبه.

وناهيك بقصد مواساة سيد أهل الإبا وخامس أصحاب العبا وسبعين باسلٍ من صَحبِه وذويه، حسبك بقصد مواساتهم وإظهار التفجّع والتلهّف عليهم وتمثيل شبح من حالتهم مجسّمة أمام عيون محبِّيهم، ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهاتٌ محسِّنة وغاياتٌ شريفةٌ، ترتقي بتلك الأعمال من أخسِّ مراتب الحِطّة إلى أعلى مراتب الكمال.

وإنّ الأُلى بالطفِّ من آلِ هاشمٍ تأسّوا فسنّوا للكرامِ التأسّيا

اما ترتّب الضرر أحياناً بنزف الدم المودي إلى الموت أو إلى المرض المقتضي لتحريمه، فذاك كلام لا ينبغي أن يصدر من ذي لبٍّ فضلاً عن فقيه أومتفقّه:

أمّا أولاً: فلقد بلغنا من العمر ما يناهز الستين، وفي كل سنةٍ تُقام نَصبَ أعيننا تلك المحاشد الدموية، وما رأينا شخصاً مات بها أو

تضرر، ولا سمعنا به في الغابرين.

وأمّا ثانياً: فتلك الأُمور على فرض حصولها إنّما هي عوارض وقتية، ونوادر شخصية، لا يمكن ضبطها ولا جعلها مناطاً لحكم أو مِلاكاً لقاعدة، وليس على الفقيه إلاّ بيان الأحكام الكلية، أما الجزئيات فليس من شأن الفقيه ولا من وظيفته. والذي علينا أن نقول: إنّ كل من يخاف الضرر على نفسه من عمل من الأعمال يحرَّم عليه إرتكاب ذلك العمل. ولا أحسب أنّ أحد الضاربين رؤوسهم بالسيوف يخاف من ذلك الضرب على نفسه ويقدم على فعله، ولئن حَرُمَ ذلك العمل عليه فهو لا يستلزم حرمته على غيره.

وأما ما ورد في الأخبار وذكره الفقهاء في كتاب الحدود والديات من أقسام الشِجاج كالحارصة: وهي التي تقشر الجلد، وفيها بعير، والدامية: وهي التي تأخذ من اللحم يسيراً، وفيها بعيران، وهلمّ جرّا إلى الهاشمة وفيها عشرة. فمعلوم أنَّ المراد ما لو جناه إنسانٌ على آخر عدواناً، لا ما إذا فعله الإنسانُ بنفسه؛ ضرورةَ أنَّ الإنسان لا يملك على نفسه شيئاً، وهذا ممّا لا أظنه يخفى على جاهل فضلاً عن فاضل. هذا وإنّ بالأصل الذي شيَّدناه ــ من أنّ المباح قد تعرض له

جهات محسِّنة ــ يتضح لك الوجه في جميع تلك الأعمال العزائية في المواكب الحسينية)[1].

وقد ختم رحمه الله بيانَه وفتواه بهذا الكلام المتين السديد فقال:

(فَذلكةُ[2] المقامِ وخُلاصةُ الفتوى:

إنّ واقعة الطف وما جرى فيها من زوابع الفجائع، واقعةٌ خرقتْ النواميسَ الطبيعية والغرائز البشرية، فضلاً عن الشرايع الإلهية، وما رأت عينُ الدهر ولا سمعت واعيةُ الأزمان بواقعة مثلها ولا تسمع بمثلها أبداً، وكما أنها أخذت بمجامع الغرابة والتفرُّد في بابها، فكذلك أحكامها غريبة الشكل عديمة النظير بديعة الأسلوب متفرِّدة في بابها:

الجزعُ والبكاء في المصائب مهما عظمتْ قبيحٌ مكروه، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه وعليهم يقول في حديثٍ معتبرٍ:

((البكاء والجزع كله مكروه إلاّ على الحسين صلوات الله عليه)).

شقُّ الجيوب على الفقيد وخمْشُ الوجوه محرّمٌ في الأشْهَر، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه يقول في حديثٍ وثيقٍ:

---

(1) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ص17 و18 و19.

(2) فَذلكة : مُجمل أو خلاصة.

((على مثل الحسين فلتُشقُّ الجيوب، ولتُخمش الوجوه، ولتُلطم الخدود)) .

إيذاءُ النفس وإدماءُ الجسد مرغوب عنه مذمومٌ سيّما من الأعاظم وأرباب العزائم، والحجة عجل الله فرجهُ يقول في زيارة الناحية:

((فلأندبنّك صباحاً ومساءاً، ولأبكينَّ عليك[1] بدل الدموع دماً))

وقد سبقه إلى ذلك جدُّه زين العابدين عليه السلام، ففي بعض روايات المجلسي على ما يعلُق ببالي من زمنٍ متقادمٍ: أنّ زين العابدين كان أحيانا إذا قُدِّم إليه قدح فيه ماء بكى حتى يملأه دماً. وعلى هذه الوتيرة فاسحب وجرَّ سائر الأعمال التي يؤتى بها بقصد الحزن والتوجُّع لفاجعة الطف وإنها لعمرُ الله باب الرحمة الواسعة وسفينة النجاة من كل هلكة ومن ذا يقدر على سدِّ باب رحمة الله؛ أو يقطع أعظم الذرائع والوسائل إلى الله)[2].

2- ومما جاء في الفتوى المشهورة والمعروفة بين أهل العلم والفقه التي

(1) في النص الأصل لهذه الزيارة الشريفة: (ولأبكينَّ لك بدل الدموع دماً)، وهو أبلغ وأدقّ وألطف من القول: (ولأبكينَّ عليك)؛ إذ في التعبير الأول لطائف دقيقة لا تخفى على أهل البلاغة والبيان.

(2) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ص23 وص24.

أصدرها المرجع الدين المعروف المحقق الشيخ محمّد حسين النائيني (ره) حيث كتب بخط يده:

(لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدَّ الإحمرار والإسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحد المذكور، بل وإن تأدّى كل من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى، وأما إخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات، فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً. وكان من مجرد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يُتَعقّبُ عادة بخروج ما يضرٌّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدرِّبون العارفون بكيفية الضرب، ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن إتفق خروج الدم قدر ما يضرٌّ خروجه، لم يكن ذلك موجباً لحرمته ويكون كمن توضَّأ أو إغتسل أو صام آمناً من ضرره ثم تبيّن تضرره منه، لكن الأولى، بل الأحوط، أن لا يقتحمه غير العارفين المتدرِّبين ولا سيما الشُبّان الذين لا يبالون بما يوردون على أنفسهم لعظم المصيبة وإمتلاء قلوبهم من المحبة الحسينية ثبّتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[1].

---

(1) نصرة المظلوم للشيخ المظفّر (ره) ص50.

وقد أمضاها وأيّدها مراجع الطائفة وفقهاؤها الذين كانوا في عصره، والذين جاءوا من بعده أيضاً إلى يومنا هذا. ومن أبرز أولئك الذين أعلنوا موافقتهم وإمضاءهم لما جاء في فتوى الشيخ النائيني (ره):

1- السيد مُحسن الحكيم (ره).

2- السيد عبد الهادي الشيرازي (ره).

3- السيد حسين الحمّامي (ره).

4- الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ره).

5- الشيخ محمّد كاظم الشيرازي (ره).

6- السيد علي مدد الموسوي القايني (ره).

7- السيد جمال الدين الكلبايكاني (ره).

8- السيد محمود الشاهرودي (ره).

9- السيد أبو القاسم الخوئي (ره).

10- الشيخ محمّد حسين المظفّر (ره).

11- السيد مهدي الشيرازي (ره).

12- الشيخ محمّد رضا الطبَسي النجفي (ره).

وأكتفي بهذا العدد المبارك تيمُّناً وإلاّ فالأسماء كثيرة جداً. ويمكنك يا قارئي العزيز أن تراجع الكتب التالية التي نقلت فتوى الشيخ النائيني

(ره) وفتاوى غيره من المراجع والفقهاء سواءٌ الذين ذَكرتُ أسماءهم على سبيل المثال أو الذين لم أذكرْ أسماءهم وهم كثيرٌ جداً:

1- نصرةُ المظلوم/ الشيخ حسن المظفّر (ره)/ **طبعة النجف الأشرف 1345هـ، المطبعة العلوية.**

2- أحسنُ الجزاء في إقامة العزاء على سيد الشهداء عليه السلام، الجزء الثاني/ السيد محمّد رضا الحسيني الأعرجي/ طبعة قم المقدّسة 1401هـ، المطبعة العلمية.

3- حول البكاء على الإمام الحسين عليه السلام السبط الشهيد/ الشيخ محمّد علي دانشيار/ طبعة قم المقدّسة 1405هـ.

4- فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية/ طبعة قم المقدّسة 1410هـ.

5- عزا دارى أز ديدكاه مرجعيت شيعه (فارسي)/ **الشيخ علي ربَّاني خلخالي/ طبعة طهران 1415هـ، مطبعة بهرام.**

6- الدعاة الحسينية، للشيخ محمّد علي نخجواني بضميمه فتاوى مراجع عاليقدر تشيُّع بيرامون عزادارى سيد الشهداء عليه السلام (فارسي)/ **طبعة قم المقدّسة 1406هـ، مطبعة مهر.**

إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة الوفيرة في هذا المضمار.

3- وهذه نماذج أخرى من فتاوى مراجع الأمة وفقهائها في الشعائر الحسينية عموماً والتطبير حزناً وجزعاً على الحسين المظلوم عليه السلام خصوصاً:

أ - (الذي يُستفادُ من مجموع النصوص ومنها الأخبار الواردة في زيارة الحسين المظلوم ولو مع الخوف على النفس، يجوز اللطم والجزع على الحسين كيفما كان حتى لو علم بأنّه يموت في نفس الوقت)[1].

الشيخ خضر شلاّل النجفي (ره)

ب - (لا تنبغي الشبهة في هذه الأمور، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوبها كفايةً في مثل هذه الأزمنة التي صمَّم فيها جمعٌ على إطفاء نورِ أهل البيت، لا يمكن تخطئته)[2].

الشيخ عبد الله المامقاني (ره)

ج - (كل ما يُصنع من عزاء الحسين عليه السلام وما فيه تهييج

---

(1) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص19، وغيره من الكتب التي تقدّم ذكرُها في ذيل فتوى الشيخ النائيني (ره).

(2) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص20.

العبرة والبكاء بجميع صوره وأنحائه ما لم يكن موجباً لهلاك النفس، راجحٌ شرعاً)[1].

الشيخ عبد الرسول الجواهري (ره)

د - (يظهر من تكرار هذه الأسئلة بين آونةٍ وأخرى أنّ زمرةً من أعداء الإسلام يرون عِظَمَ تأثير هذه المواكب والمآتم المشتملة على إظهار الأسى بشتّى الأساليب ومختلف الأشكال في حفظ كيان الإسلام، فيقعدون في المرصد ويفكرون في القضاء على هذه الدعاية الدينية وإخماد هذه الشعائر الحسينية بخلق إشكالاتٍ تافهةٍ ومناقشاتٍ واهيةٍ لا نصيب لها من الحقيقة، ولا حظَّ لها من الواقع. وقد سألوا قبلنا من مشايخنا العظام ومراجع المسلمين، فأجابوهم بفتاواهم الصريحة بجواز هذه الأُمور وقد طُبعت ونُشرت مرَّات عديدة، وأنها من الشعائر التي ينبغي أن تُعظَّم وأنا أؤيِّدهم وأوافقهم)[2].

السيد محمّد جواد التبريزي (ره)

هـ - (إنّ من أهم وسائل النجاة وأوثق أسباب التوسل، إقامة

---

(1) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص36.

(2) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص34 وص35.

الشعائر الحسينية وتعظيمها وإدامتها فإنّها من شعائر الله جلّت عظمته)[1].

السيد عبد الأعلى السبزواري (ره)

و- (إنّ اللطم على الصدور ونحوه هو ممّا إستقرّت عليه سيرةُ الشيعة في العصور السابقة والأزمنة الماضية، وفيها الأعاظم والأكابر من فقهاء الشيعة المتقدمين والمتأخرين، ولم يُسمَع، ولن يُسمَع أنّ أحداً منهم قد أنكر ذلك ومنع، ولو فرض أنّ هناك من منع لشبهةٍ حصلت له، أو لإعوجاج في السليقة، فهو نادر، والنادر كالمعدوم. وبالجملة، إنَّ مَن ناقش في عصرنا هذا في جواز اللطم على الحسين عليه السلام ورجحانه وإستحبابه، فهو لا يخلو عن خللٍ لا محالة؛ إما في عقله أو في دينه أو في نسبه، والله أعلم بحقيقة حاله. ومن جميع ما ذُكِر إلى هنا، يعرف حكم الضرب بالسلاسل على الظهور، فإنَّه من الجزع المستثنى لقتل الحسين عليه السلام فلاريب في جوازه، بل رجحانه. وأما التطبير فإذا لم يكن بحد الضرر أو خوف الضرر فلابأس به، وفعلُ زينب بنت عليٍّ عليه السلام من نَطحِ جبينها بمُقدَّم

(1) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص34.

المحمل حتى جرى الدم، معروفٌ مشهورٌ لا يُنكر، مضافاً إلى التطبير على الشرط المذكور لا دليل على حرمته، ولو شكّ، فالأصل حلّيته. وتوهُّم أنّ ذلك من الإلقاء في التهلكة المحرّم فعله، فاسدٌ جداً بعد أن فُرِضَ كونه دون حدِّ الضرر أو خوف الضرر، بل لو إقتصر على مجرَّد الإدماء بمقدارٍ يُخضَّب به الرأس والوجه كالتدهين لا أكثر، فلا يبعد رجحانه؛ لما فيه من نحو مواساةٍ وعزاءٍ. ومن ناقش في جوازه حتى بهذا المقدار فهو من أهل الغرض والمرض، فزادهم الله مرضاً)[1].

السيد مرتضى الفيروز آبادي (ره)

ز – (نرى من أعظم القُرُبات إلى المولى جلّ سلطانه، وأقرب الوسائل إلى النبي الأعظم وآله صلوات الله عليه وعليهم، تلك المآتم والشعائر الحسينية، إذ بها يُحيى أمر الأئمة عليهم السلام، بل بها تقوم قائمة التبشير الديني والتبليغ المذهبي، وإليك فوائد إقامة العزاء على مظلوم الخافقين بجميع ما لها من الأنواع والأنحاء؛ من ذكر مناقبه على المنابر، ومصائبه في المجالس، وإنشاء المراثي في إضطهاده

(1) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص42 وص43.

والبكاء عليه وعلى أولاده وأصحابه وعياله، واللطم على الخدود والصدور، والضرب بالسلاسل على الظهور، وسير المواكب في الطرقات والشوارع، بل التطبير والشبيه والضرب بالدمَّام وإقتحام النار، وهي أمور: ...)[1].

إلى أن يقول (ره):

(وهناك شبهات حول الشعائر وحدها، ولو لم تُسدّ أفواه المشككين بالبراهين ورأوا مجالاً لإلقاء الشبهات، لزادوا فيها وتجاوزوا الشعائر إلى إقامة العزاء، بل إلى زيارة المشاهد المشرَّفة والبكاء عليهم، إذ المعاند لا يقنع بالقليل، وقد إبتلينا نحنُ الشيعة بخصماءٍ من الخارج والداخل، وشاهدنا منهم ما شاهدنا، وسمعنا منهم ما سمعنا وإلى الله المشتكى، وهي أُمور:

الأول: إنَّه لم تُعهد هذه الأمور في زمن المعصومين عليهم السلام وهم أهل المصيبة وأولى بالتعزية على الحسين عليه السلام، ولم يرِدْ في حديثٍ أمرٌ بها منهم، فهذه أُمور إبتدعها الشيعة وسمّوها الشعائر المذهبية، والمأثور أنّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

(1) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية ص45 وص46.

والجواب واضح جداً، إذ ليس كل جديد بدعة إذ البدعة المبغوضة عبارة عن تشريع حكم إقتراحي لم يكن في الدين ولا من الدين. والرواياتُ الواردة في ذم البدعة والمبتدع ناظرة إلى التشريع في الدين، بل هي واردة مورد حكم العقل بقبح التشريع من غير المشرِّع، بعنوان أنه شرع إلهي ومستمد من الوحي السماوي. وإلاّ فأين محل الشبهات الحكمية التي وردت الروايات بالبراءة فيها، وحكم العقل بقبح العقاب عليها.

وبديهي أنّ الشعائر الحسينية ليست كذلك، كيف والإبكاء مأمور به، وهو فعلٌ توليدي يحتاج إلى سبب وهو: إما قولي كذكر المصائب وإنشاء المراثي، أو عملي كما في عمل الشبيه فللفقه أن يحكم بجواز تلك الشعائر لما يترتب عليها من الإبكاء الراجح ألبتة، كما أنّ التعزية عنوان قصدي، ولا بدّ له من مبرز، ونرى أنّ مُبرِزات العزاء في الملل مختلفة، وما تعارف عند الشيعة ليس مما نهى عنه الشرعُ أو حَكَم بقبحه العقلُ، وعلى المشكك أن يفهم المراد من البدعة ثم يطبقها على ما يشاء إن أمكن.

الثاني: إنّ سير المواكب في الشوارع في الوقت الحاضر يوجب

إستهزاء الأجانب علينا.

والجواب: إنّ كل ملَّة لها مراسيم مذهبية وإجتماعية، وليس ما عند الأجانب بألطف مما عندنا، مضافاً إلى أنّ الدين لا يُهجَر ولا يتغيَّر بمسخرة المعاند، بل أليس لنا أن نسخر ممن يرى الدعارة فخراً والغدر هدىً والجناية تقدّماً ثمّ يتهمنا بالرجعية ؟ نعم بعثهم على الإستهزاء بنا تخدير أعصابنا وإستغلال وحدتنا المذهبية الكبرى.

الثالث: إنّ تلك النفقات لو صرفت في تعديل النظام الاقتصادي لكان أحسن، لو لم نقل بأنّ صرف المال فيما لا يفيد إسرافٌ بغيض.

والجواب: إنّ خير المال ما يُوصَل به الإمام عليه السلام، وقد ورد في الأخبار مثوباتٌ كثيرةٌ لمن يراعي مصلحة الإمام عليه السلام ويصرف المال في شؤونه، وياليت المشكّك يرى بأنّ النظام الإقتصادي إنّما يحصل بالإجتناب عن الكسل والبطالة وعن صرف المال في الملذّات المخزية.

الرابع: إنّ ضرب السلاسل على الظهور والتطبير والإقتحام في النار إضرارٌ بالنفس وهو حرام، ولا يؤتى المستحب من طريق الحرام.

والجواب: إنَّه لم يدلّ دليل على أنّ أمثال تلك الأمور مع عدم الإنجرار إلى قتل النفس أو نقص الطرف حرام، فالتطبير مثلاً على

النحو المتداول مع الأمن من تلف النفس ــ لا سيّما من المحنّك المدرّب ــ ليس بإضرارٍ دلَّ الدليلُ على حرمته، وكذا الإقتحام في النار على النحو الذي سمعناه ليس بنفسه سبباً لهلاك النفس فلا يشمله قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفُسَكُم﴾[1]. وقول المعصوم عليه السلام: المؤمنُ لا يقتل نفسه؛ وبالجملة إيراد الجرح على الطرف إطلاقه ليس بحرام، فكيف بضرب السلاسل على الظهور ؟ ولقد شققنَ الجيوبَ ولطمنَ الخدودَ الفاطمياتُ على الحسين بن عليّ عليهما السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقُّ الجيوب)[2].

السيد علي الفاني (ره)

4- وهذه مقتطفات من كتب علماء الأُمة وفقهائها ورجالاتها :

أوّلاً:

نصرةُ المظلوم

للشيخ حسن المظفّر (ره)

في ص10:

(... وأنت إذا تيقَّنت قيام تلك الفائدة الجلية بالمآتم الحسينية قياماً

---

(1) النساء / 29.

(2) فتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر الحسينية من ص49 إلى ص53.

طبيعياً، أرشدت إليه الأئمة عليهم السلام الأطهار بهاتيك الأخبار، لزمك الإلتزام بوجوبها كفايةً ووجوب كلّما يفيد مفادها كذلك؛ من تمثيلِ الفاجعة لحاسة البصر، أو سيرِ مواكبِ الرجال في الأزقّةِ والشوارعِ مذكرةً بها. ولم تحتج بعد تلك الفائدة الملموسة باليد إلى نضدِ الأدلّة على مشروعيتها إذ أنّها بهذا البيان الذي يشهد به الوجدان، أجلّ من أن يرتاب مريب في رجحانها، بل وجوبها كفايةً).

وفي ص32:

(فإنّي مذ أدركتُ لليوم ما رأيتُ ولا سمعت أنّ واحداً مات بذلك في ايّ سنةٍ وأيّ بلدٍ، فضلاً عن جماعة في كلّ سنة ولقد سألتُ كثيراً ممّن جاوز السبعين والثمانين من سني عمره من ثقات أهل النجف وكربلاء والكاظمية وغيرهم من علماء البلدان وصلحائهم، وكلٌّ أنكر أن يكون رأى أو سمع أنّ واحداً من أولئك تألّم ألماً يوجب مراجعة الجرّاح أو المضمّد فضلاً عن موته).

وفي ص33 وص34:

(قوله[1] ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة ــ وهي نزف الدم ــ فهو

---

(1) الضمير يعود على المعترض والمشكّك.

فعل همجيٌّ وحشيٌّ مثل الضرب بسلاسلٍ من الحديد. أقول: إذا قطع النظر عن تلك الجهة التي هي علَّة التحريم، فكونه فعلاً همجياً لا يفي بالحكم المقصود لو يعلم، إلاّ أن يدل البرهان على أنَّ كل عبث وفعل لا ترتكبه العقلاء لهمجيته هو محرّم، وأنّى لأحدٍ بإثباته. على أنَّ عَدَّه فعلاً همجياً وحشياً، إنّما هو بنظر من لم يعرف حكمته ولم يطّلع على المقصود منه.....).

إلى أن يقول (ره):

(وأنا أستسلف العذر عن حزازة القَدْحِ اللساني الظاهري فقط بأعظم شعائر الله وحرماته ((الحج)) ليس الحج إلاّ طواف حول بنيّةٍ، وسعي وهرولة بين رابيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وادي ورمي أحجار على أحجار، في هيئةٍ مُقرِحةٍ من كشف الرؤوس لحرِّ الشمس وتوفير الشعر وعُري البدن ــ إلاّ عن نحوِ إزارٍ ورداءٍ ــ لا شكّ أنَّ غيرَ العارفِ برموزها وحِكَمها وأسرارها يستهزأُ بها ويعدُّها ضرباً من الجنون والتوحُّش، وفعلاً من أظهر أفعال الهمجية. أفهل يصلح للعارف برموزه وحكمه أن يَمنعَ منه لمجرَّدِ عَدِّهِ عند الجاهل همجياً؟ ولقد وقع الإستهزاء جهاراً بتلك المناسك العَليَّة الأسرار

الدقيقةِ الحِكَم، والسخريةُ بها من قِبَلِ الماديين الأقدمين؛ كعبد الكريم بن أبي العوجاء، وعبد الله الديصاني وأضرابهما، وخلّدتْ كتبُ الحديث إنكارَهما عن مولانا الصادق عليه السلام وإنكار المتأخرين أظهر من ذلك ...).

وفي ص 36:

(... وهذه وما بعدها بنظري عمدة الأدلَّة على جواز إدماء الرؤوس بالسيوف، بل وإستحبابه وذلك: انّ كلَّ ما يفعله الشيعة من الضرب بسلاسل الحديد وبالقامات وغيرها هو دون الجزع المرغَّب فيه.

الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس هو مظهر من مظاهر الجزع وليس بجزع حقيقةً، فإنَّ الجزع أمر معروف في اللغة والعرف وهو ضدُّ الصبر نحو أن ينتحر الرجل العاقل، أو يُلقي نفسه من شاهقٍ لحادثةٍ تحدث تغلب صبَره وتورده الهلاك. وأين هذا من جرح الرأس بسكين أو سيف جرحاً خفيفاً يوجب خروج الدم ولا يؤلم إلاّ بمقدار ما تؤلم الحجامة وغيرها مما يُرتَكب لأغراض عقلائية سياسية أو طبية).

وفي ص 37 وص 38 وص 39:

(ولقد كان شيخُنا العلاّمة شيخ الشريعة قدِّس سرِّه[1] بهذا الإعتبار وبتلك الأخبار يصحِّح الخبر المرسل الذي إستبعده بعضُ العظماء من أنَّ عقيلة عليٍّ الكبرى لمّا لاح لها رأسُ الحسين عليه السلام ــ وهو على رمح ــ والريحُ تلعب بكريمته، نطحتْ جبينَها بمقدم المحمل حتى سال الدمُ من تحت قناعها، ويقول أنه لا إستبعاد فيه إلاّ من جهة ظهور الجزع منها وإيلام نفسها والإيلام الغير المؤدي إلى الهلاك لا دليل على عدم جوازه، والجزع مندوب إليه ومرغوب فيه في كثير من الأخبار.

قلتُ الظاهر من الأخبار جواز الهلع أيضاً، وهو على ما ذكروا أفحش الجزع، ويظهر من الخبر الصحيح الذي تدل مضامينه على صحَّته المروي في ((الكامل)) عن قدامة بن زائدة عن السجّاد عليه السلام أنَّه قد صدر منه الهلع لو إستطاعه، وروى المجلسي أعلى الله مقامه، والسيد عبد الله شُبَّر رفع الله درجته، في كتاب ((جلاء

(1) هو المرجع الديني المعروف شيخ الشريعة الإصفهاني (ره) وأحد أبرز قادة ثورة العشرين في العراق.

العيون)): إنَّ زينَ العابدين عليه السلام كان إذا أخذ إناءاً ليشرب، يبكي حتى يملأه دماً ...).

إلى أن يقول (ره):

(وإذا ساغ للسجّاد أن يُسيل الدم بإختياره من عضوٍ من أعضائه ببكاء الدم أو بتقريح الجفن جزعاً وهلعاً على رزية الحسين، فما هو إذاً شأنُ ما يصدر من الشيعة من ضرب السلاسل والقامات ؟! وهل سيلان دم السجّاد في الإناء أهون من إنتشارِ قطراتِ من دم رأس الجريح على ثيابه حزناً على تلك الفادحة العظيمة ؟!

ثم أقول بهذا الإعتبار أيضاً مضافاً إلى ما سلف من قوله عليه السلام: ((على مثله تُلطَم الخدود وتُشقُّ الجيوب)) يرفع الإستبعاد عمَّا روي في الكتب من أنّ عقيلة آل محمّد صلوات الله عليهم في موارد عديدة لطمتْ وجهها وشقّت جيبَها وصاحتْ ودعتْ بالويل والثبور، فإنّه لا حامل لها على شقِّ الجيب إلاّ الجزع في مصابٍ حقَّ أن تُشقَّ له القلوبُ لا الجيوب كما صرّح بذلك سيدُنا العلاّمة السيد إسماعيل الصدر قُدِّس سره في بعض حواشيه.

وكيف لا تفعل ذلك في مصاب جزع له وبكى إبراهيم خليل

الرحمن وموسى كليمه كما في الخبر؛ وفي آخر أنّ فاطمة عليها السلام لما أخبرها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بقتل الحسين جزعت وشقّ عليها، وفي خبر آخر إنّها تنظر كل يومٍ إلى مصرع الحسين عليه السلام فتشهق شهقةً تضطرب لها الموجودات، وفي غيره أنّ أبا ذرٍّ لما أخبر الناس بمصيبةِ الحسين قال ما معناه: ((لو علمتم بعظم تلك المصيبة لبكيتم حتى تزهق نفوسُكم)).

ومن الأدلة على ذلك مضافاً إلى ما سلف ــ وان كان فيه غنى وكفاية ــ ما دل على إدماء الله كثيراً من أنبيائه لأجل أن يحصل لهم الفوز بدرجة المواساة للحسين عليه السلام، فمن ذلك المروي في بحار الأنوار، أنّ آدم عليه السلام لما إنتهى في طوافه في الأرض إلى كربلاء عَثَر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدم من رجله. وكذلك إبراهيم عليه السلام لما مرّ بها عثر فرسُه فسقط وشجَّ رأسه وسال دمه. وكذلك موسى عليه السلام حين جاء كربلاء إنخرق نعله وإنقطع شراكه ودخل الحَسكُ في رجليه وسال دمه. وكل هؤلاء لمـّـا ذُعروا من ذلك وخشوا أن يكون ذلك لذنبٍ حدثَ منهم أوحى اللهُ إلى كلِ واحدٍ منهم أن لا ذنب

لك ولكن يقتل في هذه الأرض الحسين بن عليّ عليهما السلام، وقد سال دمُك موافقة لدمه. فإنَّ في هذا الإعثار والإدماء من الله لا عن ذنبٍ، والتعليل بكونه موافقةً لدم الحسين، دلالةٌ جليةٌ على جواز إدماء الإنسان نفسَه مواساةً له؛ لإن سيلان دمائهم ــ مع كونه غير مقصود لهم ــ إذا كان محبوباً لمجرد الموافقة في السيلان، فالمقصودُ إسالته مواساةً لهم أولى بالمحبوبية.

إنَّ التأسّي بالحسين مندوب إليه وقد رغب فيه الغلام الزكي يحيى بن زكريا والصادق الوعد إسماعيل، وهذا لَّما سلخ قومُه جِلدَةَ وجهِهِ ورأسِهِ قال: لي أسوةٌ بالحسين عليه السلام، بل رُوي أنَّ غنمه التي كانت ترعى في شاطئ الفرات لما إمتنعت من ورود الماء وسألها عن سبب الإمتناع قالت هذه المشرعة يقتل عليها الحسين عليه السلام، فنحن لا نشرب مواساة له ...).

وفي ص46 وص47 وص48 وص49:

(السيد الميرزا محمّد حسن الشيرازي[1] نزيل سامراء وهو الذي

---

(1) صاحب الفتوى المعروفة في تحريم التنباكو والتي إلتزم بها عموم الشيعة، بل حتى بعض أفراد عائلة ناصر الدين شاه والتي كانت الفتوى موجّهة ضده وضد مصالحه وحكومته وسلطانه وعرشه.

إنتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره في جميع العالم، وعُدَّ مجدداً للمذهب الجعفري على رأس القرن الثالث عشر ـــ كما إنَّ الوحيد البهبهاني محمّد باقر بن محمّد أكمل مجدده في القرن الثاني عشر ـــ ... قد كان أنفذ كلمة على عموم الشيعة ملوكها وسوقتها من كل سابق ولاحق. وقد يوجد اليوم في كل بلدة كثير ممن يعرف إشتهاره ونفوذه وكان مع علمه بوقوع الشبيه وخروج المواكب وما يحدث فيها من حوادث وبضرب القامات والسيوف في بلدان الشيعة في العراق وإيران، وعدم وقوع الإنكار منه أصلاً تقام جميع الأعمال المشار إليها في سامراء محل إقامته نصب عينيه بلا إنكار. قد يظنّ الظانّ لأول وهلةٍ أنه ـــ قدس الله سره ـــ لا يرى رجحان ذلك بالنظر إلى حال محيطه؛ لأن جميع من في البلدة عدا النـــزلاء من غير الفرقة الجعفرية، وفيها أخلاط من غير المسلمين وفي ذلك مجال الإستهزاء والسخرية. وقد سألتُ كثيراً ممّن كان يقطن سامراء في أيامه فكان أقلهم مبالغة في تعظيمه لشأن المواكب والشبيه شيخنا المتقن المتفنن الشيخ محمّد جواد البلاغي النجفي وعنه أنقل ما يلي:

كان الشبيه يترتّب يوم العاشر في دار الميرزا ـــ قُدِّس سره ـــ ثم

يخرج للملأ مرتَّباً، وكذلك موكب السيوف، كان أهله يضربون رؤوسَهم في داره ثم يخرجون، وكانت أثمان أكفانهم تؤخذ منه، وما كان أفراد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قولٍ وفعل، وأما المواكب اللاّطمة في الطرقات تتألف من أهل العلم وغيرهم ...) .

إلى أن يقول (ره):

(ودام هذا كلّه بجميع ما فيه إلى آخر أيام خلفه الصالح الورع الميرزا محمّد تقي الشيرازي قُدِّس سره[1] وكان الشبيه يترتب أيضاً في داره ومنه تخرج المواكب وإليه تعود ...).

ويستمر (ره) قائلاً:

(إن بَعُدَ عليك عهدُ الشيخ الأنصاري والسيد الشيرازي، فهذا بالأمس الأفقه الأورع الشيخ محمّد طه نجف ــ قُدِّس سره ــ يرى في النجف بل العراق جميعَ الأعمال المشار إليها، وهو أقدر على المنعِ فلا يمنع. إنّ المواكب جميعاً حتى موكب القامات تدخل إلى داره

(1) هو قائد ثورة العشرين في العراق ومرجع الشيعة في زمانه.

وهي بتلك الهيئات المنكرة على ما يقول[1] وهو لا يحرِّك شفته بحرف من المنع، بيْدَ أنَّه يلطم معهم ويبكي وهو واقف مكانه.

الشيخ المذكور يقيم مأتم الحسين عليه السلام في داره عصراً فتغصّ بالعلماء والصلحاء وأهل الدين، وفي يومٍ معينٍ من كل سنة يقع في المأتم نفسه تمثيل بعض وقائع الطف، ولا منكر منه ولا منهم. وهَبْ أنَّه لا يستطيع تعميم المنع، لكنه يستطيع منع أن يُصنع ذلك في داره أو أن تدخل المواكب دارَه ....

وكذا العلاّمة المتقن المتبحّر السيد محمّد آل بحر العلوم الطباطبائي يقام في داره أعظم وأفخم مآتم النجف، يحضره جميعُ أهلِ العلم ويقع فيه التمثيل الذي يقع في دار الشيخ زيادةً، هذا غير كون الدار المذكور موئلاً لجميع المواكب، وبها تضرب أربابُ السيوفِ رؤوسَها من لدن أيام السيد علي بحر العلوم أو قبله حتى اليوم، ومنها تخرج إلى الشوارع والبيوت والجوادِّ العمومية، وإليها تعود، بلا إنكارٍ ولا إستيحاش.

إن بَعُدَ عليك هذا العهد القريب أيضاً، فهذا المرحوم خاتمة الفقهاء

---

(1) الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على المنكر والمشكّك والمعترض.

السيد محمّد كاظم اليزدي ــ الذي كانت له السلطة الروحانية الفذة على عموم الشيعة ــ كانت التمثيلات تقام نصب عينيه والمواكب تخترق الشوارع بين يديه، ولم يُؤثَر عنه منعُ شيءٍ من ذلك؛ وهو بمكانٍ من ثبات الرأي ونفوذ الكلمة.

إن رُمتَ عهداً أقرب من هذا فليس هو إلاّ يومك الذي أنت فيه. أُنظر إلى علماءِ الجعفرية في كل مكان تجدهم وهاتيك الأعمال الحسينية كلاً أو بعضاً بمنظر منهم ومشهدٍ لا ينبسون ببنت شفة من الإنكار مع إمكانه ... وبما أنَّ العراقيين منهم إبتلوا بالسؤال عن تلك الأعمال في هذه الأيام، ظهرتْ فتاواهم مطبوعة وغير مطبوعة وهي مفصَّلة ولم يكن من قبلها للإفتاء عينٌ ولا أثر؛ لعدم الحاجة إليه في موضوعٍ ما كان يدور في الخلد أن يقع موقع سؤال وتشكيك.

ولا شكّ أنّ الصحف السائرة والمنشورات الدائرة أقرأتك فتوى سيدنا وملاذنا حجة الإسلام ومرجع الخاص والعام العالم العامل الربَّاني السيد أبو الحسن الإصفهاني ــ دام علاه ــ المتضمِّنة لإمضاء جميع التذكارات الحسينية على الإجمال ... واليوم قد تمثَّلتْ أمامَ عينيك رسالتي هذه تطالع فيها الفتوى المفصَّلة التي جاد وأجاد بها

بقيةُ السلف من العلماء الأعلام شيخُنا العلاّم آية الله في الأنام الميرزا محمّد حسين الغروي النائيني أدام الله فضله ... وبما أنّ إفتائه ــ سلّمه الله ــ موجَّهٌ إلى المؤمنين عامة وأهلِ البصرة خاصة؛ لأنّهم المستَفتُون فأنا أنشره بنصِّه فيما يلي: قال دام ظله: ......).

الى أن يقول (ره) في ص51:

(**أما ما يقع في كربلاء أيام شريف العلماء أُستاذ العلاّمة الأنصاري ثم في أيام الفاضل الأردكاني والشيخ زين العابدين المازندراني، وفي الكاظمية أيام العلاّمة الأورع أبي ذرِّ زمانِهِ الشيخ محمد حسن ياسين، بل حتى أيام السيد محسن الأعرجي الكاظمي، وفي الحلَّة منذ عهد العلاّمة الذي قلّ أن يأتي له الدهرُ بنظير السيد مهدي القزويني إلى الآن فإني لا أُطيل بذكره لانه يوجب الخروج عن وضع الرسالة ......).**

ثانياً:

الشعائرُ الحسينية ( )

للسيد الشهيد حسن الشيرازي (ره)

في ص107 وص108 وص109:

(التطبير

حشود من الفدائيين يتجمعون ليلة عاشوراء هنا وهناك في مراكز مهيبة قد جلّل جدرانَها السواد، وإشتعلت في جوانبها الأنوار الخافتة الحمراء، فيحلقون رؤوسَهم بالمواسي، ويلبسون الأكفان البيض قطعتين: أزار ورداء، ويشدُّون في أوساطهم السيوف، ثم يخرجون في مواكبٍ منظّمة، تتقدمها مشاعلٌ حمراء، وتتقدم كلَّ موكب جوقةٌ من أصحاب الطبول والصنوج والأبواق، فيقرعون الطبولَ والصنوجَ، وينفخون في الأبواق، بقوةٍ وعنفٍ، ويهتفون من الصميم: ((حسين ... حيدر)) بطورٍ حربيٍّ، تزلزل الأرض، فتقشعرٌّ لها الجلود، وتنتصب لها كلُّ شعرةٍ في جلد كل من يسمعها من قريب أو بعيد.

وتتجوّل المواكبُ اُخريات الليل العاشر من المحرّم بين مراكزها،

(1) لابدّ من التنويه إلى أنّ هذا الكتاب هو من أحسن ما كُتب في بابه.

والعتبات أو الأماكن المقدسة الموجودة في بلادها، حتى إذا لاح الفجر، وإرتفع صوتُ الأذان خشعتِ الأصوات، فلا تسمع إلاّ همسَ المصلِّين. وإذا قَرُب طلوع الشمس، تتجمّع المواكب من جديد، فتصكُّ الطبولُ والصنوج، وتزعقُ الأبواق، ويهتفون: ((حسين ... حيدر)) وتزلزل الأرض وتَقشعِرُّ الجلود، وينتصب كل شعرة في جلد مَن يسمعها من قريب أو بعيد. وتهبّ المدينةُ عن بكرةِ أبيها على الطامة الكبرى، وتزدلف الحشود على جوانب الطرق، التي تجوبها المواكب وتخرج المواكب من مراكزها، وفي كربلاء المقدسة تخرج عادةً مِن مبنى المخيّم منسابةً إلى الأماكن المقدّسة التي تنفضُّ فيها، ثم لا ترى إلاّ السيوف التي تقطر الدم، والرؤوس المخضّبة، والأكفان الحمراء، والدموع التي تتحادر بلا إستئذان، ولا تسمع سوى دويِّ الطبولِ والصنوج، وعربدة الأبواق، وأصوات الهاتفين: ((حسين ... حيدر)) وعويل النساء، ونشيج الرجال، وتنقلب المدينة كلُّها ملحمة هادئة حزينة، يختلط فيها الدمع بالدم، وتتمزّق القلوب أسفاً، على أنّها لم تدرك الحسين فتنصره، ثم تُسلّي نفسَها بأنّها إن لم تدرك شخصه لتنصره، فقد أدركتْ تاريخَه لتنصره

فيه، وتواسيه في المصاب، وتقاسمه المأساة.

ثم يتفرّق الناس وكل فرد بركان صغير، في صميمه النار، وفي قلبه ثورة وفي عقله عِبَرٌ وعِظات لا تُمسح، لو عصف بها الدهر كله، وتصبّبت عليها البحار. وإنني أتصوّر أن الإمام الحسين عليه السلام لو بُعِث لوجد في هذه المواكب أنصاراً، إن لم يكونوا كثيرين فإنهم لا يكونوا أقل من الأنصار الذين يجدهم في غير هذه المواكب. وموكب التطبير أقدر موكب على إعادة ثورة الحسين إلى الحياة، لأنّ فيها كل ما في الحرب: الطبول والصنوج، والأبواق والسيوف التي تقطر الدم، والرؤوس المخضَّبة، والأكفان الحمراء. والهيجة التي يحدثها موكبُ التطبير لا يحدثها أي خطيب ولا موكب، حتى موكب التمثيل؛ لأنّ موكب التمثيل وإن كان أدقّ في إستعراض المأساة، إلاّ أنّه تعوزه الواقعية، فكل من ينظر إليها يعلم أنها تمثيلية لا واقع فيها، بينما يكون موكب التطبير غنياً بالواقعية، فها هي تلك السيوف التي تقطر الدم، والرؤوس المخضّبة والأكفان الحمراء. وهذه الواقعية الملموسة هي التي توفّق موكبَ التطبير لأَن يجلب الدموعَ الغزار أكثر من غيره، ويركّز ثورة الحسين في الأعماق أقوى من غيره.

وأمّا جواز التطبير على الإمام الحسين عليه السلام، فهو جائز ذاتاً، ومستحب عرضاً، ولا يناقش فيه فقيه تأمّل وتدبّر، ولكن حيث وقعت حوله مناقشات بِدْوية نعمد فيه إلى شيء من التفصيل).

وبعد أن يورد الأدلة الكثيرة يقول (ره) في ص129:

(**إذن، فالتطبير مباح ذاتاً، ومستحبٌّ تأسِّياً بالحسين ومواساةً له عليه السلام).**

ويواصلُ كلامه (ره) في الصفحتين 129 و 130:

(**وكل ما سبق، كان إستدلالاً فقهياً على جواز التطبير، وهنالك دليل غير فقهي، لا يدل على جواز التطبير فحسب، ولا يدلّ على تقدير الإمام الحسين عليه السلام لكلٍّ من يتطبّر ــ بغض النظر عن جميع خصوصياته فقط ــ وإنّما يدل على وجود نوع من المعجزة فيه، فإنّ الضرب القاسي بالسيف المسلول على الرأس المحلوق، ونزول السيف حتى العظم لابدَّ أن يقضي على الإنسان ــ كما يؤكّده الطب القديم والحديث ــ ونحن نرى ألوف المتطبِّرين يطبِّرون صباحاً، ثم يُنظّمون أنفسهم في مواكب، تطوف في كربلاء من المخيم إلى حرم الإمام الحسين، ومنه إلى حرم العباس، ثم تعود إلى حمام المخيَّم، وتطوف في بقية البلاد أكثر من مسافة ميل في لفح الصيف**

وعواصف الشتاء، وعندما يدخلون الحمام يغسلون رؤوسهم بلا مبالاةٍ طبية، ثم يخرجون، ويشتركون في مواكب اللطم والسلاسل حتى الليل، ولا يصاب أحدهم بمكروه. ولئن سقط أحدهم حين الضرب، لكثرة نزف الدماء وتغلُّب الضعف عليه، فسرعان ما ينهض ويواصل دوره في موكب التطبير وبقية المواكب).

إلى أن يقول (ره) في ص132:

(والواقع: إنّ وجود هذه المعجزة البيّنة، وفي موكب التطبير يكشف عن أنّ الإمام الحسين عليه السلام يوليه عناية خاصة، وكفاه دليلاً على الرجحان).

ثالثاً:

نجاةُ الاُمة في إقامة العزاء
على الحسين والأئمة عليهم السلام
للسيد محمّد رضا الحسيني الحائري(1)

في ص61 وص62 وص63

(الفائدة الرابعة

(1) من فضلاء العُلماء المعاصرين.

إنّ في هذه الأخبار[1] ما تدل على إستحباب الجزع والفزع على الحسين عليه السلام وإستحباب كل فعل يصدر من الجازع بعنوان العزاء؛ كاللطم على الخدود والصدور وخمش الوجوه وإن إستلزم الإدماء، فضلاً عن السواد والإحمرار، بل وبلغ ما بلغ مما هو منهيٌ عنه في مصيبة غير الحسين عليه السلام، وفي الحديث عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

((رحمَ اللهُ شيعتَنا لقد شاركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة على مصاب الحسين عليه السلام)).

وفيه دلالةٌ واضحة على لزوم إقامة المجالس الحسينية والمواكب العزائية وإدامة الحزن على سيد الشهداء عليه السلام إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى).

ويستمرّ في كلامه حتى يقول في الفائدة السابعة:

(إنّ مقتضى هذه النصوص الشريفة إستحباب البكاء على الأئمة وسيدِ الشهداء صلوات الله عليهم مطلقاً، أعني حتى لو إستلزم

(1) مراده ما تقدّم من أخبار ذكرها في كتابه مرويةً عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم جميعاً.

البكاء قرح العين وجرحها وذهاب نورها، بل وعماها ......).

وفي ص100:

(ومِمّا ذكرناه لك في المقام يظهر لك بوضوح إستحباب جرح الرؤوس بالمُدى والسيوف حتى تسيل منها الدماء؛ لأنه من أبرز مصاديق الجزع والفزع على المولى الغريب الشهيد أبي عبد الله الحسين ــ روحي له الفداء ــ إذْ لا فرق في اللطم والضرب باليد أو غيرها كالسيوف والسلاسل والحجارة ونحوها، بل ويدلّ على ذلك ما عرفت من إستحباب البكاء على سيد الشهداء حتى ما لو إستلزم جرح العين وقرحها وعماها).

وفي ص105 وص106:

(هذا وقد صرّح فقهاؤنا الأعلام ــ أعلى الله مقامهم في دار السلام ــ بجواز جرح الرؤوس قديماً وحديثاً، منهم سيّد فقهاء عصره السيّد حسين الكوهْكَمَري (قده) حيث أجاب عن ذلك في السؤال الموجّه اليه في هذا الخصوص، ومنهم مؤسّس الحوزة العلمية[1] شيخ الفقهاء المحقّق سلمان زمانه الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي أعلى الله

(1) مراده الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة.

تعالى مقامه، كما حدّثني بذلك ولده العلاّمة الفقيه شيخنا المرتضى قدّس الله تعالى سرّه، وهو أيضاً ممن إرتضى كلام والده العلاّمة، كما صرّح لي بنفسه نفعنا قدسه. وصرّح بإستحباب جرح الرؤوس الفقيه الشيخ محمّد علي النخجواني (قده) في الدعاة الحسينية، بل قال بوجوبه الكفائي، كما صرّح بالإستحباب شيخنا العلاّمة الفقيه المجاهد الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء النجفي (قده) في كتابه الآيات البينات، والعلاّمة الدربندي في أسرار الشهادة، والعلاّمة الشيخ حسين الحلّي في رسالته النقد النزيه، وفتوى المحقّق النائيني (قده) في الجواز مشهورة، وقد تابعه جُلُّ معاصريه وكُلُّ من أتى بعده، كالفقيه الأوحد السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي، والسيد ميرزا مهدي الشيرازي، والسيد حسين الحمامي، والسيد محسن الطباطبائي الحكيم، والسيد محمود الشاهرودي، والشيخ محمّد رضا آل ياسين، وغيرهم أعلى الله مقامهم، وهو بعنوان العزاء مستحب.

ونقل العلاّمة المرحوم السيد مرتضى الداماد (قده) في كتابه الأعلام الحسينية: تأييد مواكب التطبير عن العلاّمة المجدد السيد ميرزا محمّد حسن الشيرازي في سامراء، وقال: إنّ مواكب التطبير كانت تخرج

من بيته الشريف في يوم عاشوراء، وإنّ أمثال الفقيه المحقق الشيخ محمّد تقي الشيرازي، والفاضل الشربياني، والفقيه السيد محمّد بحر العلوم صاحب بُلغة الفقيه، والسيد حسين القزويني، والفقيه الزاهد الشيخ محمّد طه نجف، والفقيه الأصولي المتبحر الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي ((قدس الله أسرارهم)) كانوا يخرجون أمام مواكب أهل التطبير، لاطمين على صدورهم. ونقل العلاّمة الحائري الإصفهاني (قده) في رسالته الموضوعة حول هذا الموضوع: إنّ مواكب أهل التطبير كانت تخرج في النجف الأشرف من بيت المرحوم الفقيه السيد محمّد بحر العلوم، وكانت هذه عادتهم من زمن جدّه العلاّمة السيد علي بحر العلوم صاحب البرهان القاطع في الفقه.

وفي كربلاء المقدسة كانت تخرج من بيت المرحوم الشيخ زين العابدين المازندراني صاحب ذخيرة المعاد، ومن بيت المرحوم السيد محمّد باقر الحجّة الحائري آل صاحب الرياض، وأنه قد شاهد ما حكاه. وفي سامراء كان المتكفّل لمصارف الهيئات العزائية والباذل لنفقة المواكب الحسينية ــ من شراء الأكفان وتهيئة السيوف والخناجر ــ هو العلاّمة المجدد السيد ميرزا محمّد حسن الشيرازي

(قده)، وكان ولده العلاّمة الحاج ميرزا علي آقا الشيرازي هو المباشر لذلك بأمر والده العلاّمة أعلى الله مَقامه ومُقامه).

رابعاً:

عزاداری أز دیدگاه مرجعیت شیعه (1)

للشيخ علي ربَّاني (2)

هذا الكتاب باللغة الفارسية وهو يتضمّن فتاوى ما يقرب من مائتين وخمسين مرجعاً وفقيهاً من مراجع الأمة وفقهائها ــ سواء من الماضيين أو من المعاصرين ــ وكثيرٌ منها مثّبت في الكتاب بخطوط أيديهم. وكلُّ هذا الزخم الوفير من الفتاوى يُجمِع على جواز، بل إستحباب الشعائر الحسينية بنحوٍ عام بما فيها التطبير الحسيني تصريحاً وتلميحاً.

فهل من معتبر ؟!

---

(1) ترجمة عنوان الكتاب إلى العربية هي: مراسم العزاء من منظار المرجعية الشيعية.

(2) من فضلاء المشايخ المعاصرين.

الفصلُ السابعُ

مِن فيضِ مواكبِ الفداء الحسيني

((التطبـــير))

(1)

شيءٌ من الفيض

خصائص وآثارُ مواكب التطبير الحسيني

يُمكِنُ ان نُجمِلَ هذه الخصائص والآثار في الأبعاد التالية:

1- **البعدُ التربوي:**

إذ أنّ التطبير بمثابةِ نوعٍ من أنواع المجاهدات والرياضات الروحانية التي تؤلم الجسد وتصقل الروح فتُعطي الإنسان قدرةً على الإيثار وتقدح في روحه وجَنانه جذوة التضحية ممّا يبعث فيها صفاء السريرة ولين الجانب.

2- **البعدُ القُربي:**

حيث يتجلّى في التطبير معنى الجزع المندوب، والبكاء، والإبكاء إلى غير ذلك من القُربات التي حثّت عليها وصايا المعصومين عليهم السلام والتي يترتّبُ عليها عظيمُ الأجرِ والثواب.

3- **البعدُ العِشقي ((المودّةُ الخالصة)) :**

إذ أنّ إمتزاج عواطف الحب الصادقة ودوافع المودّة الخالصة المنزّهة من الشوائب الدنيوية مع لوعة الأسى وحسرة الأسف، يُنتِجُ نوعاً من العشق والهيام الذي لا يعرفه إلاّ أهله الذين تتوهّجُ قلوبُهُم بما يكويها ويجعلها مشدودةً إلى محبوبها برباط لا يُحلّ. وما التطبير إلاّ نفثةٌ تجعلُ العاشق في خيال عشقه قريباً من الواقعة التي يتضوّرُ قلبه حين يمرُّ خاطرها، وتبقى القلوب المخلصة في طوافٍ مع الحسين عليه السلام وعنده وحوله صلوات الله عليه.

4- **البعدُ الإحيائي** ((**إحياءُ الأمر**)) :

لا شكّ انّ مواكب التطبير الحسيني تتميز بالمشاركة الجماهيرية الحاشدة أولاً، وبتفاعُل المشتركين والحاضرين عاطفياً وقلبياً وعقائدياً مع الهدف الذي عُقدت لأجله هذه المواكب ثانياً. كلّ ذلك من دون ضغطٍ من سلطة معينة، أو خوفٍ من جهةٍ ما، أو طمعٍ في شيءٍ من حطام الدنيا، أو إنسياقٍ خلف حملة إعلامية ودعائية تدعو لهذا الطرف أو ذاك. بل يصعب ويتعذّر على الحكومات والجهات المختلفة مهما بذلت من أموالٍ أو أبدت من ضغط أو أشاعت من دعاية أن تكسب الإثنين معاً: كثرةُ الجماهير، وتفاعل قلوبها لصالح أمرٍ تريده تلك الحكومة أو هذه الجهة. بينما يتحقق هذان الأمران في مواكب التطبير الحسيني في كل

الأحوال المواتية وغير المواتية، سواءٌ مُنِعت أم لم تُمنع من أي جهةٍ كانت. وبذاك تكون مواكب التطبير الحسيني مَعلماً شاخصاً في تأريخ الشعائر الحسينية التي كانت ولا زالت ركناً أساسياً في إحياء أمر آل محمّد صلوات الله عليهم جميعاً؛ وكفى بذلك فائدةً ومنفعةً.

5- البعدُ الفنّي أو المَشاعري:

من الواضح جداً أنّ الفنّ وسيلة من وسائل التعبير، وأسلوب من أساليب الإيصال والتلقين، إلاّ أنه أشدُّ تأثيراً من غيره على إرهاف الحس، وتهذيب الذوق، وتنقية العواطف. وكلّما كان الفنان في فنّه ـــ أيّاً كان نوع هذا الفن ـــ أقرب إلى الحقيقة في تعبيره، كلَّما كان تأثيره في المتلقي ـــ مُشاهِداً أو مستمعاً أو الاثنين معاً ـــ أشدّ وأركز. فعلى سبيل المثال: فنُّ التمثيل مثلاً ـــ والذي يعتبر الأعظم تأثيراً على المجتمع الإنساني وخصوصاً في وقتنا الراهن ـــ يبرعُ الفنانُ فيه كلما كان يمتلك قدرةً أقوى وأدق في تقمُّص الشخصيات التي يُمثّل أدوارها.. فلو بكى الممثّل حقيقة على خشبة المسرح مثلاً، سيكون أشدّ تأثيراً على جمهوره مما لو مثّل البكاء إصطناعاً، وهكذا في سائر الفنون الأخرى مع ملاحظة أنّ كلّ فنٍ بحسبه وبحسب أسلوبه التعبيري المناسب له وإنتمائه

المدرسي عقيدةً وفناً.

وما التطبير الحسيني في هذا السياق إلاّ نوعٌ من أنواع التعبير التراجيدي المفجع الذي يتناغم مع الوجدان الإنساني عازفاً على أوتار الحزن والمأساة في مكنون ضمير الإنسان وطوايا خلجاته النفسية. فكما أنَّ الدموع الحقيقية التي يذرفها الممثل نتيجة تفاعله مع أي قصةٍ أثناء أدائه لدورٍ مأساوي، تترك تأثيراً واضحاً على الجمهور السينمائي أو التلفزيوني أو المسرحي، وكما أنَّ الدموع الحقيقية المتفجّرة بصدقٍ من عيني شاعرٍ مبدعٍ أثناء إلقاء شعره إلقاءاً فنياً تبعث على الهياج في نفوس الجماهير، كذلك هو إنبعاث الدم من الرؤوس حين يصبغ الأكفان البيضاء مع دويِّ الحناجر بكلِّ صدقٍ وعاطفة: ((**يا حُسين.. يا حُسين**)) يحفرُ أخاديد ممن التأثير في قلوب المشاركين والمشاهدين لمواكب الفداء الحسيني ((مواكب التطبير)) من محبي أهل البيت وأشياعهم صلوات الله عليهم ويجعلهم يعيشون في جوٍّ هو أقربُ ما يكون إلى جوِّ الواقعة.. وكلُّ يوم عاشوراء، وكلُّ أرضٍ كربلاء، وكلُّ شهرٍ محرّم، حتى تقومَ دولةُ الحق.

وفضلاً عن كل ذلك فإنّ الإسترسالية والإندفاع العقائدي، وعدم التكلُّف والتصنُّع كل ذاك من دون أيِّ مؤثّرات خارجية بعيداً عن

الديكورات المصطنعة والمكياج المزيَّف والحِيل الفنية والإخراجية، يجعل من أجواءِ مواكب التطبير الحسيني أرقى ما يمكن أن تُعبِّر عنه التراجيديا الواقعية؛ بما تعكسه من تأثيراتٍ وإنفعالاتٍ نفسية تُصقَل فيها بواطن النفوس وتُشحَذُ فيها العواطف بنحوٍ إيجابي بإتجاه الغاية المطلوبة بكل أهدافها السامية وجمالياتها اللاّمتناهية.

(2)
شيءٌ من كرامةِ التطبير الحُسيني

جاء في كتاب أحسن الجزاء في إقامة العزاء على سيّد الشُهداء عليه السلام للسيد محمّد رضا الحسيني الأعرجي في ج2 ص67 ما نصُّه:

(الحكاية الخامسةُ

وهي كما حدّثني بها الوالد[1] الماجد سلّمه الله وأبقاه، ومن كل مكروه وقاه، بحق البيت ومن بناه، نقلاً عن المرحوم الشيخ علي الساعاتي. قال: كان الشيخ علي رحمه الله من عادته في كل سنة أن يصنع دواء من أجل أهل التطبير في يوم عاشوراء لجرحهم رؤوسهم بالسيوف والقامات؛ حتى يحصل البرء سريعاً، ولئلاّ يتحمّل الماء ويبقى الجرح في الرأس. وكان عادة أهل التطبير أخذ الدواء منه في كل سنة ليلة عاشوراء . وإتفق في سنةٍ إتيانهم لأخذ الدواء على عادتهم في تلك الليلة من الشيخ علي رحمه الله، فأعطاهم ظرف

---

(1) هو السيد جعفر الحسيني والد مؤلف الكتاب المذكور أعلاه.

التيزاب إشتباهاً بدل ظرف الدواء، ولم يعلم بذلك إلاّ بعد يوم أو يومين، حيث إتّفق أن وقع نظره على ظرف الدواء المعدّ لأهل العزاء، فتذكّر في الحال أنّه أعطاهم ظرف التيزاب بدل ذلك، فتغيّر لونه وأيقن بهلاك الجماعة. وبعد ذلك أتى إليه منْ أخذ ذلك منه؛ ليشكره على عمله. وقال: شيخنا جزاك الله خيراً، إنّ دواءك في هذه السنة أحسن من السنين الماضية بكثير، فإنّه بمجرّد وضعه على الجرح كان يبرأُ في الفور.

قال رحمه الله: فتعجّبت من قوله، وما صدّقتُ كلامَه حتى حقّقتُ ذلك، فحصل لي اليقينُ من كلامه، فحمدتُ الله تعالى على ذلك، وعملتُ أنه معجزةُ سيد الشهداء عليه السلام ونظرُ لطفه ومحّبته بالنسبة إلى من يقيم عزاءه).

سـيدي يا حُسـين ... !

عباراتُنا شتّى وحُسنُكُ واحدٌ — وكلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

بعيداً عن النِقاشِ
وإستراحةً من الدليليّةِ
والإستدلال

ذكر الشيخ محمّد مهدي زين العابدين النجفي في كتابه بيان الأئمة عليهم السلام ج2 ص461 وص462 ما نصُّه:

(وبالمناسبة لما أتى ذكر جدِّنا آية الله العظمى الشيخ زين العابدين النجفي قُدّس سرُّه صاحب الكرامات. نذكر له هذه الكرامة عن بعض أهل العلم والفضل، قال: إنّ أهل إيران، وآذربيجان، وأهل قفقاسيا إستفتوا علماء النجف الأشرف عن الطبول التي تُضرب في عزاء الحسين عليه السلام، وعن ضرب السيوف والقامات، والتشابيه، وغيرها.. وأنّها جائزة أو حرام ؟

وكتبوا ذلك في كتب متعدّدة، كلٌّ كتب إلى مقلّده، وأُرسلتْ مع وفدٍ إلى النجف، وقرّروا على أنهم إنْ أخذوا أجوبة الفتاوى تُوضع في ظرف وتُختم ولا تُفتح إلاّ في مسجد الشاه المعروف[1] بمسجد الإمام الخميني ــ مُدّ ظلّه العالي ــ في طهران، وتُقرأ على المجتمع من

(1) مراده المعروف في زماننا هذا.

أهل البلاد ليعرف كلٌ حكم مقلَّده. وكان ذلك في زمن السيد آية الله العظمى صاحب العروة[1]، فرجع الوفد بالأجوبة، وأخبروا الناس بالحضور في يومٍ معيّن، فحضروا في مسجد الشاه، فقُرئت الفتاوى عليهم، فكان كلٌّ قد أجاب بجواب، فبعضٌ قال: بحرمة هذه الأشياء، وبعضٌ فصّل وبالأخص إلى ضرب السيوف والقامات، قال: إن كان فيه ضرر فلا يجوز وهو حرام، وإن لم يكن فيه ضرر فهو جائز، وبعضٌ قال: بالجواز، إلى أن فُتِح الكتاب الذي فيه فتوى المرحوم آية الله الشيخ زين العابدين ((قُدّس سرّه)) فكان فيه:

((بسمه تعالى شأنه

إنّي كنت متوقِّفاً في هذه المسألة ومُتردّداً فيها، فلا أدري هل أُفتي بالجواز أم أُفتي بالحرمة ؟ فذهبتُ إلى مسجد السهلة ووصلتُ بخدمة سيدي ومولاي الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه، وعرضتُ المسألة عليه وسألته عنها، فأفتاني بالجواز، وأنا أُفتي كما أفتى سيدي ومولاي بالجواز والسلام)).

---

[1] هو المرجع الديني المعروف السيد كاظم اليزدي (ره).

فلمّا سمِعَ المجتمع الفقير هذه الفتوى قالوا: لا حاجة لنا بتلك الفتاوى الأُخرى، وهذه تكفينا).

تمَّ بعون الله تعالى وتوفيقه في: 15/ رجب الأصبّ/ 1419هـــ يوم شهادة عقيلة العقائل الكبرى زينب الحوراء صلوات الله عليها.

ثبتُ المُحتويات

الفصل الرابع : فلسفة مواكب التطبير حزناً وجزعاً على الحسين عليه السلام

الفصل الخامس : أدلّةُ جواز التطبير حزناً وجزعاً على الحســـين عليه السلام والقولِ بإستحبابه